

المكتبة الأهلية بمصر



لباب الخيار في سيرة المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

مدرس اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية الاسلامية في بيروت سابقاً

الطبعة الثالثة

١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

المطبعة الرحمانية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعلَ أخبارَ الأوَّلين موعظة للآخرين ، وسِيَرَ الماضين عِبْرَةً للحاضرين والآتين ، وصلاةً وسلاماً عَلَى رسولهِ الأَمين ، قدوةِ المتقين وإمامِ المرسَلين ، أرسله عَلَى حين فترةٍ من الرسل ، فهدى به قوماً فسقوا عن الهدى الآلهيّ ، وحادوا عن الوحى القلبيّ ، وعَلَى آله وأصحابه ، ومن تأدب بآدابه .

وبعد : فلما كانت سيرة هذا الرسول الكريم ، والرؤوف الرحيم ، من أهمّ مايجب علَى الأُمة تلقّيه وينبغى درسه وحفظه ، ولا سيَّما تلك النابتة التى قَضىَ كما قُضىَ عَلَى أكثر العوام ، أن لاتعرفَ شيئاً من أخبار نبيّهاَ ، وأحواله وأعماله ، وشمائله وفضائله ، دعانى حبُّ الخير لأُولئك العوام والطُّلَّاب الكرام ، أن أضعَ سِيرةً وَسطاً بين السِّيَرْ ، أذكُرُ فيها مايُهمُّ معرفتهُ كلَّ مسلم ، متجنباً فى ذلك التطويلَ والتقصير ، طاوياً كشحاً عمَّا لم يَصِحَّ ، أو كان فى روايته ضعفٌ من عقل أو نقل ، لتكون ذخيرةً لطالبها ، نافعة للراغب فيها فجاءت بحمد الله وافيةً بالغرض علَى ما أظنُّ ، وكنتُ ابتدأت بتأليفها درساً فدرساً ، وكنت أُلقى ذلك شفوياً ثم كتابة عَلَى قسم من التلاميذ فى الكلية

الاسلامية فى بيروت . وقد أودعت فى أثناء الكلام بعض التعليقات الجديرة بالاعتبار ، فى فلسفة الحوادث المهمة ، وعِلَلِ بعض الاحوال ؛ وبيان بعض الأمور المشكلة . ولما بلغت النهاية سميتها : « خيار المقول فى سيرة الرسول » صلى الله عليه وسلم .

ثم رأيتُ بعد ذلك ان اختصرها ، لِما وجدت من الحاجة إلى ذلك ، فاختصرتُهَا فى هذه الرسالة على وجه الايجاز ، ولم أذكر فيها سوى شذَراتٍ مهمةٍ من أحواله وأعماله ، مع ذكر جميع غَزَواته ، وضربتُ صفحاً عن سراياه ؛ إلا ما كان له تعلُّقٌ ببعض الغزوات فقد نبهتُ عليه فى الحاشية بعلامات خاصة وأتبعتها بخاتمة ذكرت فيها أولادَهُ وأزواجه وأعمامه وعماته وأفراسَهُ وغير ذلك ، وهيئتَهُ وبعضَ اخلاقه ومعيشته ، ثم بنموذج من معجزاته ، وشيء من جوامع كلمه وسميتها :

﴿ لباب الخيار فى سيرة المختار ﴾

صلى الله عليه وسلم

فأسأل الله أن يجعلها مقبولة لديه ، انه خير مسؤول بل لا مسؤول سواه . وقد جعلتها هديةً لعوامّ الأمة وتلاميذ المدارس ، لتكون لهم عونًا عَلَى درس بعض شمائله وأخلاقه وأعماله العظيمة المهمة التى جاء بها صلى الله عليه وسلم

بيروت　　　　　　　　　　　　　　مصطفى الغلايينى

اجمال عن العرب قبل الاسلام

بلادهم ومواقعها

جزيرةُ العرب واقعةٌ فى الجَنُوبِ الغربىّ من آسيا ، ويُحيطُ بها البحرُ الأحمرُ وصَحْرَاءُ التِّيهِ المُتَّصلةُ بتُرعَةِ السُّوَيْسِ منْ غرْبِها والخليجُ الفارسىُّ منْ شرقِها وبحرُ عُمَانَ الذى هُوَ قسمٌ من بحرِ الهندِ منْ جنوبِهَا والصحارى الممتدةُ بينَ بلادِ الشَّامِ والفرَاتِ منْ شمالِهَا .

ومساحتها ١١٠٠٠٠٠ ميلٍ مُرَبَّعٍ أوْ ٣١٥٦٥٥٨ كيلو متراً مربعاً أَوْ ١٢٦٠٠٠ فرسخٍ مُرَبَّعٍ ، وقد عَمِلنا حسابها بالميلِ والكيلومترِ والفرْسخِ فجَاءَ الحسابُ متقارباً

ونُفوسُها اثنا عَشَرَ مِلْيُوناً ، وقيلَ عشَرَةُ ملايين .

وهىَ تُقْسَمُ إلى ثمانيةِ أقسامٍ :

القسم الاول — الحجازُ ، وهو الواقعُ فى الجَنوبِ الشرقىِّ منْ أرْضِ طُورِ سيناءَ على ساحلِ البحرِ الأحمرِ ، وسُمّىَ حِجَازاً لِأَنهُ حاجزٌ بينَ تِهامَةَ ونجْدٍ ، وتِهامَةُ محصُورَةٌ بينَ الحجاز

واليَمنِ ، ومكَّةُ المكرَّمةُ والمدينةُ المنوَّرَةُ من هذا القسم ، وَفى وَسَطِ مكَّةَ مسجدُها الجامعُ المُسَمَّى بالحرَم ، وَالكَعبةُ فى وَسَطِهِ وبجانبها الحجرُ الأسوَدُ ، ومكَّةُ هىَ البلدُ الذى وُلِدَ فيهِ الرَّسُولُ ونشأ ، وفيهِ أُكرِمَ بالنبوَّةِ ، وتُسمَّى أيضاً بَكَّةَ وقيلَ إنَّ بكَّةَ هُوَ بطنُ مكَّةَ ، وَسُمِّىَ بذلكَ لازدِحامِ النَّاسِ فيهِ لأنَّهُ يقالُ : بكَّهُ إذا زحمه ، وتسمىَ أمَّ القُرَى . وكانتْ تُسمَّى فى القديمِ الباسَ والباسةَ والبَساسةَ .

وأمَّا المدينةُ المنوَّرَةُ فكانتْ تسمى يَثرِبَ وهىَ دارُ هِجرَةِ الرَّسُولِ وقُطبُ نُصرَتهِ وفيها قبرُهُ الطَّاهرُ ، ولِكلٍّ منَ مكَّةَ والمدينةِ حَرَمٌ لهُ حدُودٌ مذكورَةٌ فى كُتُبِ الفِقهِ ، وأَرْضُ تِهَامَةَ تُحسَبُ اليومَ منَ الحجازِ .

القسم الثانى — اليمنُ : وهوَ الواقعُ فى جَنوبِ الحجازِ ، وفى شماله بِلادُ عَسير . وفيهِ عِدَّةُ مُدُنٍ مَشهورَةٍ بتجارَةِ البُنِّ ، وهى مخا وحُدَيدَةُ وعدَنُ ، وفيهِ مدينةُ سَبأ (مأرب) وصنعاءَ وسُمِّيَتْ اليمنُ بهذا الأسمِ لوقوعها عن يمينِ الكعبةِ إذا استقبلتَ المَشرقَ ، كما أنَّ بلادَ الشَّامِ عنْ شمالهَا .

القسم الثالث — حَضرَمَوْتُ فى شرقِ اليمنِ على ساحلِ

بحر الهند ، ومنـه يَخرُجُ العُودُ ذو الرَّائحةِ الذَّكيَّةِ المعروفُ بالقاقلى .

القسم الرابع — إقليمُ مُهْرَةَ فى شرقِ حضرموتَ

القسم الخامس — إقليمُ عمَانَ المُتصلُ بالخليجِ الفارسىِّ منَ الشَّمالِ ، ومنَ الشَّرْقِ والجنوبِ ببحرِ الهندِ ، ويوجدُ فيهِ قليلٌ منَ النحاسِ

القسم السادس — الحَسا : ويُجاوِرُهُ جزائرُ البَحْرَيْنِ بالخَليجِ الفارسىِّ ؛ ويمتدُّ على ساحلهِ إلى نهرِ الفراتِ ، وسكَّانُ هذا القسم يستخرجون اللؤلؤ

القسم السابع — نجدٌ : وأراضيهِ مرتفعةٌ وهُوَ فى وَسْطِ الجزيرَةِ بينَ الحِجازِ والحَسا وصَحارى الشَّامِ وإقليمِ اليمامةِ وَهُوَ يَتَّصلُ بالشَّامِ شمالاً والعراقِ شرقاً والحِجازِ غرباً واليمامةِ جنوباً ، وأرْضُهُ أَطيَبُ أرْضٍ فى بلادِ العربِ

وَفى نجدٍ أرْضُ العاليةِ التى كانَ يَحميها كلَيْبُ بنُ وَائلِ بنِ ربيعةَ ، حتى أفضى ذلك إلى قتلِهِ ونُشُوبِ حربِ البسُوسِ الَّتي دَامتْ أربَعينَ سنةً ، حتى ضُرِبَ بها المثل : « أشأمُ منْ حَرْبِ البَسوسِ »

وَفيهَا جَبلُ عُكادَ الذى لم تثبُتِ العرَبيةُ الفُصْحَي بعـدَ فَسادِهَا إلاَّ في أهلِهِ

وَفي نجْدٍ كثيرٌ منَ الوَاحَاتِ والخُيُولِ الجَميـلَةِ (المَعْرُوفَةِ بالـكُحَيْلِ) وهيَ مَرْغوبةٌ في بِلاَدِ الدُّنيَا كافةً

وَفي جَنُوبِ نجْدٍ أَرْضُ اليمامَةِ

القسم الثامن — إقْليمُ الأَحْقَافِ ، وَهُوَ في أَرْض مُنْخَفِضَةٍ في جَنُوبِ بلاَدِ العَرَبِ وَفي الجَنُوبِ الغَرْبيِّ مِنْ عُمَانَ ويَلْحَقُ به أَرْضُ اليمامَةِ ، وكانَ هذَا الإِقْليمُ مَعْمُورًا بأقْوَامٍ منَ الجَبَابِرَةِ يُقالُ لهُمْ عادٌ ، وقدْ أَهلَـكَهُمُ اللهُ بِريحٍ عَظِيمَةٍ وأهَالَ عَليْهمُ الرِّمَالَ .

وكانت قديمًا تُقْسَمُ إلى ستةِ أَقْسَامٍ : الحجَازِ واليمنِ ونَجْدٍ وتِهَامَةَ والإِحْسَاءِ واليمامةِ .

فاليمامةُ بينَ نجْدٍ واليمنِ وهيَ في جَنُوبِ نجْدٍ بينَ الإِحْسَاءِ شرقًا والحجاز غَرْبًا ، وَمِنْ مَدَائِنِهَا اليَمامةُ وَهَجَرُ ، وَتُسَمَّى العَرُوضَ أيْضاً لِأَنَّهَا معترضةٌ بين نَجْدٍ واليمنِ .

وتِهَامَةُ تُحْسَبُ اليَوْمَ من أَرْضِ الحجَازِ كما قدمنا ، وهي واقعةٌ بينَ اليمنِ جَنوبًا والحجاز شمالًا

والاحساء تمتدُّ عَلَى ساحلِ الخليج من عُمانَ إلى أرْضِ بُصْرَى وَتُسَمَّى بِالْبَحْرَيْنِ ، وَمِنْ مدائنها الإحساء والْقَطِيفُ . والحجازُ قدْ دُخِلَ فيهِ تِهَامَةُ . واليمن انفصلَ عنهُ أقاليمُ حَضْرَمَوْتَ وَمُهْرَةَ وَعُمَانَ . ونجدٌ دخل فيه اليَمامةُ والإحساء

أنسابهم وطبقاتهم

طَبقَاتُ العَرَبِ ثَلاثَةٌ وهِيَ :

الطبقة الاولى — أو الْعَرْبَاءِ وتُسَمَّى الْبَائِدَةُ وهُمُ الْعَرَبُ الخُلَّصُ الأَوّلُونَ ، وقَدْ ذَهَبَتْ عنَّا تفصيلاتُ أخبارهم لتقادُمِ العهدِ ، وقَدْ كانُوا شُعوبًا وَقَبَائِلَ كَثِيرةً ؛ وهُمْ مِنْ وَلَدِ إرَم ابن سامِ بْنِ نُوحٍ . وَهُمْ تِسعُ قبائِلَ : عادٌ وَثَمُودُ وَأَمِيمُ وَعُبَيْلُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسُ وعِمْلِيقُ وَجُرْهُمُ الأُولَى وَوَبَارُ ، وَمِنْهُم تَعلم اسماعيلُ جَدُّ الرّسولِ الْعَرَبيّةَ وَهُمْ أقدمُ الأُمَمِ بَعْدَ قَوْمِ نوحٍ وأَعْظَمُهُمْ قدرَةً وأشدُّهم قوةً وآثاراً فى الأَرْضِ ، وقد انتقلوا إلى جزيرةِ الْعَرَبِ منْ بابلَ لمَّا زاحمهمْ فيها بنو حامٍ ؛ ثمَّ كانَ لِكلِّ فرقَةٍ منهمْ ملوكٌ وآطامٌ وقصورٌ إلى أنْ غلَبَ عليهمْ بَنُو يَعْرُبَ بْنِ قحْطَانَ ؛ وكانَتْ مَسَاكِنُهُم فِى اليَمامةِ مِنْ جزيرةِ العَرَبِ .

الطبقة الثانية — العَربُ العَارِبة الثَّانيةُ وَبَعْضُهمْ يسميهَا بالْمُتَعَرِّبَةِ ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ جُرْهُم بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَابَر ، وعابَرُ اسمُ هُودٍ عليْهِ السَّلَامُ وكانَتْ مَسَاكِنُهمْ بالحِجَازِ وَيُسَمَّوْنَ أيْضاً بالعرَبِ اليمانيةِ ، لِأَنَّ مَواطِنَهمْ كانَتْ في اليمنِ . ومنَ الْعَرَبِ المتعرِّبةِ أو العاربةِ الثَّانيةِ بَنُوسبأٍ ، واسمُ سبأٍ عبدُ شَمس ، فلمَّا أكْثَروا الغزوَ والسبيَ سُمُّوا سبأً ، وهُوَ ابْنُ يشْجُبَ بْنُ يَعْرِبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وَكانَ لسبَأٍ عِدَّةُ أوْلَادٍ ، منهم حِمْيَرُ وكَهْلانُ — وَجميعُ قَبَائِلِ عَرَبِ اليمنِ وملُوكُها التَّبَابِعَةُ من ولدِ سَبَأٍ المذكورِ ماعدا عِمْرَانَ وأخاهُ فإنهما ابْنَا عامِرِ بن حارِثة ابنِ امرِئِ القيس . وكان هؤلاء العَرَبُ يَغْلبُ عليْهمْ الميْلُ إلى الحَضَارَةِ فسكنوا المُدُنَ وأسَّسُوا الممالِكَ ، ومنْهمْ ملوكُ الحيرةِ وملوكُ الشَّامِ أي الغسَّانيُّونَ .

وكانت هذِهِ الطَّبقةُ أي العربُ المتعرِّبةُ معاصِرَةً أخيراً لإِخْوانِهَا من عربِ تِلْكَ الطَّبقةِ أي العَاربةِ الأُولَى ، وكَانُوا مُوَالِينَ لهُمْ وَمنَاصرِيهمْ ولمْ يَزَالُوا مُجْتَمعينَ في رِحَابِ الْبَادِيةِ ، بعيدِينَ عن الملكِ الذِي كان لإِخوانِهمْ العَارِبةِ الأُولَى إلَى أنْ تَشعَّبَتْ في الأَرْضِ فَصَائِلهمْ ، وتعدَّدتْ أفخاذهمْ وعشَائرُهم ،

ونما عَدَدُهمْ ، فزاحمُوا مُعَاصرِيهمْ أبناءَ الطَّبقَةِ الأُولَى وانتهزُوا فرْصةَ اضمحلالِ دوْلتهم وانتزعُوهَا منْهم عَلَى ما يُقَال ، فى القرْن الثَّامن قبلَ ميلادِ المسيح عليه السلامُ ، فاستَجدُّوا بالىَ الدولة بما استأنَفُوهُ من عزِّهم .

وكانَ قَحْطَانُ بْنُ عابر أَوَّلَ من نزلَ اليمنَ وغلبَ عليهَا حتَّى مَلكهَا ولبِسَ التَّاجَ ، وملَكَ بعدَهُ ابنهُ يعْرِبُ وهُوَ أَوَّلُ منْ نَطَقَ بالعَرَبيةِ ، وقيل بَلْ أَبُوه قَحْطانُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بهَا من العرب المتعرِّبةِ ، أى العاربةِ الثانيةِ وليس المرادُ أنَّهُ أوَّلُ منْ نَطقَ بهَا عَلَى الإطْلاَق ، لأنَّهُ قد كان لِلْعربِ جيل آخرُ وهمُ العاربةُ الأُولَى ، ومِنهمْ تعلَّمَ قحْطانُ وابنهُ يَعْرِبُ العَربيةَ .

وقد غلَبَ يعْرِبُ عَلى قوْمِ عادٍ فى اليمنِ وعَلَى العمالقةِ فى الحِجَازِ وَوَلَّى اخوَتهُ جميعَ أَعمَالهمْ فولَّى جُرْهمًا على الحجاز ، وولّى عَادَ بْنَ قحطانَ على الشِّحْرِ ، ووَلَّى عُمَانَ بنَ قحْطانَ على بلادِ عُمَانَ .

وكانَ منْ نَسْلِ يَعْرِبَ بْنِ قَحْطَانَ التَّبَابِعَـةُ مُلوكُ الْيَمَنِ المَشْهُورُونَ بالحضَارَةِ والتَّمَدُّنِ ، وفى عَصْرِهِم حَصلَ سَيْلُ الْعَرِمِ

فأغرقَ اليمنَ وفرّقَ السكّانَ وجعلهمْ طوائفَ، وكانتْ هذهِ الحادثةُ على ما يُقالُ سنة (١٢٠) قبلَ المسيحِ عليهِ السّلامُ، وكانَ منْ هذهِ الطّوائفِ آلُ غسّانَ ملوكُ الشّامِ منْ قِبلِ الرّومانِ ويُسمّوْنَ الغساسنةَ، ومنها آلُ المُنذرِ ملوكُ الحيرةِ منْ قِبلِ الفُرْسِ ويُسمّوْنَ المناذرةَ

الطبقة الثالثة — العَرَبُ المُستعرِبةُ، أي التّابعةُ للعربِ، ومنهمُ الرّسولُ صلى الله عليهِ وسلم ويُقالُ لهمْ العدنانيّونَ نسبةً إلى عدنانَ، وهوَ أوّلُ شعبٍ أشتهرَ منْ وَلدِ اسماعيلَ، وسمّوا بالمستعربةِ لأنَّ أباهمْ اسماعيلَ بنَ الخليلِ عليهما السّلامُ لمْ يكنْ عربيّاً بلْ جاءَ بهِ أبوهُ إبراهيمُ الخليلُ معَ أمّهِ هاجرَ إلى مكّةَ، فتزوّجَ اسماعيلُ ببنتِ مُضاضٍ سيّدِ قبيلةِ جُرهُمَ، وتكلّمَ بالعربيّةِ الّتي لمْ تكنْ لغةَ أبيهِ.

وقدْ تناسلَ منهُ جيلٌ عظيمٌ كانوا شعوباً وقبائلَ متفرّقةً، بعضُها بدوٌ اعتادَ المعيشةَ في الباديةِ تحتَ الخيامِ، ويُقالُ لهمُ الأعرابُ (ويُسمّى كلٌّ منْ سكنَ الباديةَ أعراباً ولوْ كانوا غيرَ عربٍ، ومُفردُ الأعرابِ أعرابيٌّ) ويعيشونَ منْ ألبانِ الإبلِ والغنمِ ولحومهما، ويتنقّلونَ منْ مكانٍ إلى مكانٍ في طلبِ العشبِ

والمَاءِ ، وبَعْضُهَا حَضَرٌ يَسكُنُ المُدُنَ كَمكَّةَ والمَدِينةِ وجَدَّةَ وَغيرِهَا ، ويُقَالُ لهمُ العَرَبُ ، ولمْ يَخْضعُوا قَطُّ لِسلْطَةٍ خَارجةٍ عنهم .

ومنْ وَلَدِ عَدْنَانَ مَعَدٌّ ومنْ مَعدٍّ نِزَارٌ ، واُشْتهِرَ منْ أَوْلاَدِ نِزَارِ أَرْبَعُ شعُوبٍ وَهِيَ إيَادٌ وأَنمارٌ ورَبيعةٌ وَمُضَرُ .

وبَنو مُضَرَ كانوا أهلَ الكَثْرَةِ والغَلَبَةِ فى الحِجَازِ ، وقد اُنفرَدُوا برِئَاسَةِ الحَرَمِ ، واَشتهرَ منْ قَبائِلهمْ كِنَانَةُ ثمَّ قُرَيْشٌ الَّتِي منهَا النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم .

وقُرَيْشٌ كانَتْ أشهرَ قبائلِهمْ وقدْ بلغَتْ فى القرْنِ السَّادِسِ منَ المِيلاَدِ المسيحيِّ مَبلَغاً عظِيماً منَ الشَّرَفِ وعُلوِّ الهِمَّةِ ، وقدْ آلَتْ إليْها رئَاسَةُ البيْتِ الحرَامِ ، وكانَ لَها نوْعٌ منَ السُّلْطَةِ والمشُورَةِ على جَميعِ قَبائِلِ العَرَبِ .

وكانَ التَّقَدُّمُ فى قُرَيْشٍ لِبَنى لؤَيِّ وكانَ سَيِّدُهُمْ قُصَيًّا لِما كانَ لهُ فِيهِمْ منَ الشَّرَفِ والقَرَابَةِ والثرْوَةِ والأَوْلادِ ، وقدْ تَوَلَّى رِئَاسةَ الكَعْبَةِ سنةَ (٤٤٠) بعدَ المسيحِ ، وكانَ منهُ بَنُو عَبْدِ منَافٍ وكانَ القائمُ بأمْرِهِمْ هَاشِماً ثمَّ ابْنَهُ المطَّلِبَ ثمَّ أَخاهُ عَبْدَ المطَّلِبِ جَدَّ النبيِّ عليهِ الصلاة والسلامُ

*
* *

وهناك طبقة خامسة نشأت بعد حضارة الإسلام إلى يومنا هذا ، وهم الذين فسدت لغتهم على تمادي الأيام بسبب مخالطتهم غير العرب ، وقد مر عليهم أدوار انقرض فيها ما كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والإسلام ، وهم قبائل عظيمة ، وشعوب كثيرة ، يسكنون الخيام ، ويجولون في البراري . وأشهرهم قبيلة عنزة وصخر وسباعة وغيرها .

وقد دخل كثير من عرب الجزيرة المدن وسكنوا حواضر البلاد بعد الإسلام ، واختلطوا بأهل البلاد الشامية والمصرية والمغربية ، حتى صار يعد كل من تكلم العربية من أهل هذه البلاد عربياً

ممالك العرب قبل الاسلام

كانت ممالك العرب قبل الإسلام منقسمة إلى دول كبيرة وممالك صغيرة ؛ فالدول الكبيرة ثلاثة :

أولها اليمن — وكان مقر ملوكها (صنعاء) وأول من ملك منهم قحطان بن عابر ؛ وعابر هو هود عليه السلام على

بَعْضِ الأَقْوَالِ ، وخَلَفَهُ على مُلْكِ اليمنِ (٢٨) ملِكاً . ثم انتقلَ المُلْكُ منهمْ إلى الدَّوْلةِ الثَّانيـةِ ، وأوَّلُ مَنْ مَلكَ منهَا (تُبَّعٌ الأَوَّلُ) ابْنُ الاقْرَنِ وخلَفَهُ عِشْرُونَ مَلِكاً آخِرُهُمْ (ذُوجَدَنٍ الحِمْيَرِىُّ) الذِى تَغَلَّبَ عليْهِ (أَرْيَاط) قائِدُ جيْشِ النجاشِىِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ سنة (٥٢٩م) واُسْتَوْلَى على ممَالَكتِهِ وضَمَّهَا إلى ممْلكةِ الحبشة ، وكانَ أرْياطُ المَذْكُورُ يَزْدَرِى الضُّعَفَاءَ ، وَيُكلِّفُهُمْ مالا يُطِيقُونَ منَ المشَاقِّ ، فَجزِعُوا لِذلكَ واُنتمَوْا إلى (أبْرَهَةَ) أحدِ رُؤَسَاءِ الجَيْشِ ، فأخَذَ بنَاصِرِهِمْ وحارَبَ (ارْياطَ) وقتَلهُ وقامَ بالأَمْرِ بَعدهُ : وبعدَ موْتهِ مَلكَ ابْنُهُ (يَكسُومُ) ثمَّ أخوهُ (مَسْرُوقٌ) فاسْتَخلصهَا منهُ (سَيْفُ ابنُ ذِي يَزَنٍ) بمُساعدَةِ كِسْرَى أنو شرَوَانَ ، وبعْدَ موْتِهِ تَغلَّبَ عليْها كِسْرَى، وَبقِيَتْ تحْتَ سلْطَتِهِمْ إلى سـنةِ (٦٣٤م) حتى فُتِحَتْ بالإِسلامِ ، وكانَ العَامِلَ عليها حِينئذٍ (باذَانُ) الذِى أَسْلمَ فى عهدِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلام

الثانية: المناذرة — ملوكُ العِرَاقِ وكانَ مقرُّ مُلْكِهِمْ (الحِيرَةَ) وهىَ قريبـةٌ منَ الكوفةِ وكانوا عُمَّالاً لِلأَكاسِرَةِ على عرَبِ العِرَاقِ ، وأوَّلُ مَنْ ملكَ على العربِ بأَرْضِ الحِيرَةِ (مالكُ بنُ

فهم) وينتهي نسبه إلى قحطان (وكان ملكه فى أيام ملوك الطوائف قبل الأكاسرة) ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) ثم ابن أخيه (جذيمة ابن مالك بن فهم) ثم غيره إلى تمام (٢٦) ملكاً ، ثم انتزعها خالد بن الوليد عقب الفتح الإسلامى من يد آخر ملوكها (المنذر) بن النعمان .

الثالثة الغسانية — ملوك الشام وعددهم (٣٢) ملكاً ، وكانوا عمالاً لقياصرة الروم على عرب الشام ، وأول ملوكهم (جفنة بن عمرو بن ثعلبة) وآخرهم (جبلة بن الأيهم) وقد أسلم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة (١٦ هـ) وفى هذه السنة خرج (عمر) إلى الحج فحج جبلة معه ، فبينما جبلة طائف إذ وطئ رجل من فزارة إزاره فلطمه جبلة فهشم أنفه ، فأقبل الفزارى إلى عمر وشكاه ، فأحضره عمر وقال : افتد نفسك وإلا أمرته أن يلطمك ، فقال جبلة : كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة فى الحد ، فقال جبلة أتنصر ، فقال عمر : إن تنصرت ضربت عنقك ، فقال : أنظرنى ليلتى هذه فأنظره ، فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله إلى

الشَّام ، ثمَّ سارَ إلى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وتَبِعَهُ خَمْسُ مِئَةِ رَجلٍ من قَوْمِهِ فَتَنَصَّرُوا عن آخِرِهِمْ ، وَفَرِحَ (هِرَقْلُ) بِهِمْ وأَكْرَمَهُ ثمَّ نَدِمَ جَبَلَةُ على فِعْلِهِ ذلك وقال:

تَنَصَّرَتِ الأَشْرَافُ من عارِ لَطْمَةٍ
وَما كانَ فِيها لو صبرْتُ لها ضَرَرْ

تَكَنَّفَني فيها لَجَاجٌ ونَخْوَةٌ
وبِعْتُ لها العينَ الصحيحَةَ بالعَوَرْ

فَيالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْني ولَيْتَني
رَجَعْتُ إلى القَوْلِ الذي قالهُ عُمَرْ

وَهـذهِ هيَ الدُّوَلُ الثَّلاثُ الكبْرى في بِلادِ العرَبِ ، وأمَّا المَمالِكُ الصغيرَةُ فكثيرَةٌ مِثْلُ كِنْدَةَ وغيرِها ، وكذا المُلوكُ المُتفرِّقونَ مِثْلُ كُلَيْبٍ ملكِ بَني وائلٍ وتَغْلِبَ الذي قتَلَهُ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ ، ومِثْلُ قَيْسِ بْنِ زُهيْرٍ العَبْسِيِّ

أخلاقهم وعاداتهم

منْ أَخْلاقِهِمْ الحسنَةِ وعاداتِهِمْ الطَّيِّبَةِ الشَّجاعَةُ والعِفَّةُ والشَّهامَةُ والنَّجْدَةُ وعُلوُّ الهِمَّةِ والحَمِيَّةُ وحِفْظُ العُهُودِ والإيفاءُ بالوُعُودِ والمُحافظَةُ على الاعْرَاضِ أشَدَّ المحافظَةِ ، فقدْ كانَ عِنْدَهم

الموتُ أسهلَ منَ العارِ (حتى أدّى بهم ذلكَ إلى دفنِ بناتِهم، وهنَّ أحياءٌ خشيةَ العارِ) ومنها المدافعةُ عنِ الجارِ وحفظُ الجوارِ والكرمُ والضيافةُ للغريبِ والقريبِ، ومنها الافتخارُ بشدةِ البأسِ، وعزةِ النفسِ، وإباءِ الضيمِ، والولوعُ بالأشعارِ لأنها ديوانُ العربِ وبالحِكَمِ والأمثالِ، ومنها الحلمُ والفصاحةُ والغلوُّ في حفظِ الشرفِ ومكانةِ النفسِ.

وأمَّا لغتُهم فكانتْ منْ أعزِّ الأشياءِ لديهم، حتى أنّهم كانوا يأنفونَ منْ مخالطةِ غيرِ العربِ حفظًا لها منَ العُجمةِ.

ومنْ عاداتِهم السيئةِ دفنُ البناتِ وهنَّ أحياءٌ خشيةَ العارِ، وقتلُ الأولادِ خشيةَ الفقرِ، والغلوّ في أخذِ الثأرِ، حتى إنّهم كانوا يشنُّونَ الحروبَ التي تزهقُ فيها النفوسُ الكثيرةُ في سبيلِ أخذِ ثأرِ رجلٍ منهم، ومنها المنابزةُ بالألقابِ (والنبزُ هوَ اللقبُ المستهجنُ القبيحُ) ومنها التبنِّي (وهوَ أنْ يجعلَ الولدُ غيرُ الحقيقيِّ بمنزلةِ الابنِ الحقيقيِّ يرثُ ويورثُ) ومنها عبادةُ غيرِ اللهِ، وكانتْ عبادتُهم على أنواعٍ مختلفةٍ ولهمْ آلهةٌ وأصنامٌ كثيرةٌ كاللاتِ والعزّى وهبلَ ونسرٍ وسواعَ ويغوثَ ويعوقَ وغيرِ ذلكَ، وكانَ منهمْ منْ يعبدُ النجومَ كالشمسِ والقمرِ

وَعُطَارِدَ والمُشتَرى وغيرِ ذلكَ ، وَمنْ ذلكَ أَسْماؤُهمْ كَعبدِ العُزى وعَبْدِ يَغوثَ وعبدِ شَمْسٍ ونحْوِهَا ، وكانَ فى بِلادِهِمْ كَثيرٌ منَ النَّصارَى والْيهُودِ والمجوسِ .

وكانُوا قَبْلاً مُوَحِّدِينَ يَعبُدُونَ اللهَ على مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ الخَليلِ وإسْماعيلَ عليْهمَا السَّلامُ ، ثُمَّ اتخَذُوا الأَصْنامَ لتكُونَ واسِطَةً بينهمْ وَبيْنَ اللهِ بزَعمهمْ إلى أَنْ عَبَدُوهَا وقَدَّمُوا لهَا القَرَابينَ . وذَبَحُوا الذَّبَائحَ على اسمِهَا .

فلمَّا وَصلوا إلى هذهِ الدَّرَجةِ منَ الجَهْلِ والْكفْرِ وعبادَةِ غيْرِ اللهِ أرْسلَ لهمْ رَسُولَهُ المُصطَفى وَنبيَّهُ المرْتضَى ، فأرْجعَهمْ إلى الشَّرِيعَةِ الحَقّ شَرِيعةِ إبْرَاهيمَ وموسَى وعيسَى والانبياءِ منْ قَبلِهمْ فَهدَاهمْ بعدَ الضَّلالِ وأَرْشدَهمْ بعدَ الحيْرَةِ .

تمهيد

اعلَمْ أنَّ اللهَ خلقَ الخَلْقَ وَلَمْ يَتْرُكهمْ سُدًى يَميلون مع أَهْوَائهمْ كَيْفَ شاءَتْ، بَلْ رَبَطهمْ بنِظَامِ الحِكْمةِ وَرَابِطَةِ النُّبُوَّةِ، فكَانَ يُرْسِلُ إلى كلِّ قَوْمٍ رَسُولاً يُرْشِدُهمْ وَهَادِياً يَعِظُهمْ، وكانَتِ الأُمَّةُ العَرَبيةُ مُقْتَفِيةً شَرِيعةَ إبْرَاهيمَ عليه السَّلَامُ، ولكِنْ لمَا طَالَ العهدُ بها غيَّرُوها وَبدَّلوهَا، واْخترَعُوا أَشْيَاءَ أَضَافُوهَا إليهَا كمَا زَيَّنَتْهُ لهُمْ عقُولهمُ السَّقِيمةُ، فصَارُوا أُمَّةً وَثَنيةً بعْدَ أَنْ كانَتْ مُوَحِّدَةً، وكَثُرَ فيهمْ الفُجُورُ والفِسْقُ والقَتْلُ والخُرُوجُ عنْ دائرَةِ المدَنيّةِ والدِّينِ، فلمَّا اسْتحكَمَ الجهْلُ فيهم، وضرَبَ أطْنَابه في قُلوبهم، كانَ من رَحْمةِ اللهِ بهم أنْ أرْسلَ اليهم رسولاً من أنفسهمْ، وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ النَّبيُّ الأُمِّيُّ، ليُرْشِدَهم إلى الصراطِ المستقيمِ، والسبيلِ الواضحة وأنزلَ عليه القرآنَ الحكيمَ وأيَّدَهُ بقوتهِ وسلطانه، فهدى النَّاسَ بعدَ ماضلُّوا وَعلمهم بعدما جهلُوا، فَحَسُنَتْ أحوالهُم، واْستقامتْ أفكارُهمْ، وقد قاسى من أجلِ ذلك الشدائدَ، وتحمَّلَ من

المشقات والمتاعب فى سبيل الدعوة والنصيحة والهداية مالا تقدر عليه الجبال الراسيات ، والأعلام الشامخات ، ولكن بالنظر لما عهد فيه عليه السلام من القوة والنشاط ، والثبات أمام العقبات ، والمثابرة على الأعمال التى يكون منها النجاح ، قام بالدعوة خير قيام ، ونهض نهوضاً لم يعهد مثله فى سائر رسل الله الكرام ، صلوات الله عليهم أجمعين .

كيف قام الدين الاسلامى ؟

مما يجدر بالذكر أمر لابد من التنبيه عليه ، وهو مسئلة « هل قام الدين بالدعوة أو بالسيف » فقد ركز فى بعض الأذهان أنه لم يقم إلا بالسيف ، ولكن الأمر بعكس مايظنون لأن الدين أمر وجدانى يساق إليه الانسان بحادى العقل عند الدعوة إليه فتذعن اليه النفس ، فإن أجبر الإنسان على ذلك فكيف يكون عنده هذا الأذعان ؟

والحق الذى لا محيد عنه أن الدين إنما قام بالدعوة ، والدعوة حياة الأديان ؛ ومن يرجع إلى نصوص القرآن المجيد وما صح من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح له الامر وتتجلى

له الحقيقة : هلْ كانَ الرَّسولُ يُعْمِلُ السَّيْفَ فى رِقَابِ قُرَيْش عند ما كانت تُؤْذِيه فى مكةَ بِضُرُوبٍ من الأَعْمَالِ المنْكَرَةِ لوْ نَزَلَتْ بالجبالِ لدُكَّتْ ؟؟ هل أجبرَ الأنصارَ أهلَ المدينةِ عَلَى اعتناق الدّين ؟ أمْ دَعاهمْ فأتوْهُ مذْعِنِين ؟ ثم هاجر اليهمْ هَرَبًا مِنْ كُفّار مكةَ لمّا همُّوا بقَتْلِهِ . هَلْ هلْ ؟؟؟ كلاً والله كلُّ ذلِكَ لم يكنْ . والرّسُولُ انمَا قاتلهم دِفاعًا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ المسلمينَ وَرَدًّا لِعُدْوانِهِمْ ، وَحِمَايَةً للدّعْوَةِ منْ مُعَارِضيها لَيْسَ إلاَّ . يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ عدَمُ قِتَاله الاَّ مَنْ قاتَلهُ أو اعْتَدَى عَلَى المسلمين . فهل مثل ذلك يُعَدُّ خَطَأً فى شِرْعَةِ العَدْلِ والانْصافِ وهَلْ يُقَالُ إنَّ الدّينَ قامَ بالسيف لاجل ماذكَرْنا ؟ لهَذَا أَحبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ عِنْدَ كلّ غزْوَةٍ السَّبَبَ الذِى دَعا المسلمينَ إلَيْهَا .

*

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

هُوَ سيِّدُنَا أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ ابنِ هَاشِمِ بنِ عبدِمنَافِ بنِ قُصَيّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِك بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خزَيمَةَ ابنِ مُدْرِكَةَ بنِ اليَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارَ بنِ معَدّ بنِ عدنَانَ

هذَا هُوَ النَّسَبُ المُتَّفَقُ عَلَى صِحتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الحدِيثِ والتَّارِيخِ ، أَمَّا النَّسَبُ فَوقَ ذَلِكَ فَلا يَصِحُّ فيهِ طَرِيقٌ وَغايةُ الأَمْرِ أَنَّهمْ أجمَعُوا على أَنَّ نَسَبَ الرَّسُولِ ينتهي إِلَى اسماعيلَ ابنِ ابْرٰهيمَ عليهما السلامُ

فهذَا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أَبيهِ . وأَمَّا نَسبُهُ من جهة أُمِّهِ فهوَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ، مُحَمَّدُ بنُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبِ بن عبدِ منَافِ ابنِ زُهرَةَ بنِ كِلابٍ ، فَتَجمَعُ معه علَيْهِ السَّلامُ في جَدِّهِ كِلاب

ادوار حياة الرسول

وَأَدْوارُ حياتهِ صلى الله عليه وسلم ثلاثةٌ : مِنْ ولادتهِ إلى النبُوَّةِ وَمِنَ النبُوَّةِ إلَى الهِجرَةِ ، وَمِنَ الهجرة إلى وَفاتِهِ

الدور الاول من حياته

ويبتدىء من حمله الى النبوة

كانَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المُطَّلبِ أبو الرَّسُولِ الأعظمِ من أحبِّ ولدِ أبيهِ إليهِ ، ولمَّا بلغَ عُمُرُهُ ثمانيَ عشرةَ سنةً زوَّجهُ آمنةَ بنتَ وهبٍ ، فحملتْ منهُ برسُولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم ثمَّ لمْ يلبثْ أبوهُ أنْ تُوفِّيَ وهيَ حاملٌ بهِ أوْ بعدَ وضعهِ بشهرَينِ ، وكانتْ ولادتُهُ يومَ الإثنينِ في الثَّاني عشرَ منْ ربيعِ الاوَّلِ عامَ الفيلِ (١) ، حينَ طلوعِ الفجرِ ، وهوَ وقتُ البركةِ كما قالَ عليهِ السَّلامُ « بُوركَ لأُمَّتي في بُكورِها » ، وكانتْ ولادتُهُ في زمنِ المَلكِ العادلِ كسرَى أنوشروانَ ملكِ فارس.

ولمْ يترُكْ لهُ والدُهُ منَ المالِ إلاَّ خمسَ جمالٍ وبعضَ نعاجٍ وجاريةٍ ، ويُروَى أقلُّ منْ ذلكَ ، وأرضعتهُ حليمةُ السَّعديَّةُ ، وذلكَ انهُ كانَ منْ عادةِ العربِ أنْ يلتمسُوا المراضعَ لمواليدِهِم

(١) فى السنة التى جاء فيها الفيل الى مكة ، وذلك ان ملكا من ملوك الحبشة جهز جيشا على مكة ليهدم الكعبة وكان فى ذلك الجيش فيل عظيم لكن رمى الله كيده فى نحره وجعل كيده فى تضليل وارسل عليهم طيراً ابابيل « اى فرق وجماعات » ترميهم بحجارة من سجيل « اى طين متحجر » فجعلهم كعصف مأكول « اى كورق زرع » اكلته الدواب اوالدود ، اى اهلكهم وابادهم : ويوافق مولده عليه السلام (٢٠) نيسان « ابريل » سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام

فِي الْبوَادِي ليكُونَ أَنجبَ للوَلد ، فجاءتْ نِسْوَةٌ منْ بَنِي سَعْدِ ابْنِ بكْرٍ يَطلُبْنَ أَطفالاً يُرْضِعنَهُمْ ، فكانَ الرَّضيعُ المحمُودُ صلى الله عليهِ وسلم منْ نَصيبِ حليمةَ بنتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةِ ، واسمُ زَوْجِهَا أبو كَبْشَةَ ، فَدَرَّتِ البَرَكات على أهلِ ذلكَ البيتِ الذينَ أرْضعُوهُ مُدَّةَ وُجودِهِ بينَهُمْ ، وكانَتْ تَزِيدُ على أَرْبعِ سنَوَاتٍ .

وَفي السنةِ السَّادِسَةِ منْ عمُرِهِ أَخْرَجتْهُ أُمُّهُ إلى أَخْوالهِ بالمدِينةِ فَتوُفِّيَتْ بالأَبْوَاءِ[1] فَحضَنتْهُ أُمُّ أيمَنَ وكفَلَهُ جدُّه عبدُ المطَّلِبِ ورقَّ لهُ رِقَّةً لمْ تُعهَدْ لهُ في وَلدِهِ لِمَا كانَ يَظهر عليهِ ممَّا يَدُلُّ على أنَّ لهُ شأْناً عظيماً في المُستقبل ، وبعدَ سنَتينِ منْ كفَالَتهِ توُفِّيَ جدُّهُ ، فكفَلَهُ عمُّهُ أبو طَالِبٍ (وكانَ شَهماً كَرِيماً غيْرَ أنّهُ كانَ منَ الفَقْرِ بحيث لاَ يَملِكُ كفَافَ أَهلِهِ) وَفي السنةِ التَّاسِعةِ سافَرَ إلى الشَّامِ السفْرَةَ الأُولَى مَعَ عمِّهِ أَبِي طالِبٍ ، وقدِ اجتَمعَ رِجَالُ القافِلةِ وهُمْ بقُرْبِ بُصْرَى بالرَّاهبِ بَحِيرَى فأخبرَهمْ عنْ ظهورِ نَبيٍّ منَ العَرَبِ في هذا الزَّمان ، كما عرَفَ ذلكَ في كتُبِهِمْ المقَدسَةِ ، فقالوا إنهُ لمْ يظهر

(١) قرية بين مكة والمدينة وهي الى المدينة أقرب

إلى الآن ، وفى سنة عشرين حضر حرب الفجار ، وهى حرب كانت بين قريش وحلفائها وبين قيس وحلفائها فى موضع بين مكة والطائف يسمى « نخلة » وكادت الدائرة تدور على قيس لولا أن حصل الصلح بينهما

وفى سنة خمس وعشرين سافر إلى الشام المرة الثانية بتجارة لخديجة بنت خويلد ، وكانت تستأجر الرجال فى مالها وقد اختارته لهذا العمل لما سمعت عنه من الأمانة والصدق وغيرهما من الصفات الجميلة التى جبل عليها منذ حداثته حتى سماه قومه الأمين ، وسافر معه ميسرة غلامها فباعا وابتاعا وربحا ربحا جسيما

وفيها تزوج بخديجة بعد رجوعه من الشام بشهرين ، وهى التى خطبته لنفسها ، ولها من العمر إذ ذاك أربعون سنة .

وفى سنة خمس وثلاثين جاء سيل جارف فصدع جدران الكعبة بعد توهين من حريق كان قد أصابها ، فعزمت قريش على هدمها وبنائها ، وقد شهد الرسول بناءها وعمل فيها .

وقد جعلوا ما ينفق عليها من الأموال طاهرا ليس فيه

رِبًا ولاَ مَهْرُ بَغيٍّ ، وَجَعَـلَ الأَشْرَافُ منْ قُرَيْشٍ يَحملُونَ الحِجَارَةَ على أعْناقهمْ ، وكانَ الرّسولُ وعمُّهُ العبّاسُ فيمنْ يَحْملُ وكانَ الرّسولُ مُؤْتَزِرًا ، فقالَ لهُ العبَّاسُ : اجْعَلْ إزَارَكَ على عَاتِقِكَ فوْقَ عُنُقِكَ ، ففعلَ عليهِ السَّلامُ ذلكَ ، فَبَدَتْ سوْأَتُهُ فَسقَطَ على الارْضِ فَضمَّهُ عمهُ إليهِ ، وقال ما الّذِى أصَابَكَ؟ قال : سمعتُ صوْتًا شدِيدًا أَنْ شُدّ عليكَ إزَارَكَ ، ورَضيَتْ قرَيْشُ بحكمهِ عنْدَ اخْتِلافِهمْ فيمنْ يَضعُ الحجَرَ الأَسْوَدَ حتى كادُوا يَقْتتِلونَ لذلكَ ، ففصلَ هذا المشكلَ العظيمَ الرّسولُ الأَعظمُ ، فإنهُ بَسطَ رِدَاءَهُ ، وقال لِتأْخُذْ كلُّ قَبيلَةٍ بنَاحيَةٍ منَ الثوْبِ ، ثمّ وضَعَ الحَجرَ فيهِ وأَمرَهم بِرَفْعهِ حتَّى انْتَهوْا إلى موْضعهِ فأخَذَهُ الرّسُولُ ووَضعَه فيه .

وَلمَّـا كانَ لهُ أرْبعُونَ منْ عمرهِ أكْرَمهُ اللهُ بالنبُوّةِ والرّسَالةِ .

شذرة من معيشته قبل النبوة

«لَمْ يَقُمْ على تربيتهِ مُهَذِّبٌ ولم يُعْنَ[1] به مُؤدِّبٌ بين أترابٍ[2] من نبتِ الجاهليةِ ، وعُشَراءَ من حُلفاءِ الوثنيةِ ، وأولياءَ من عبدةِ الأوهامِ ، وأقرباءَ من حفدةِ[3] الاصنام ، غيرَ أنهُ مع ذلك كانَ ينمُو ويتكاملُ بدنًا وعقلاً وفضيلةً وأدبًا حتى عُرِفَ بينَ أهلِ مكةَ وهُوَ في رَيعانِ[4] شبابهِ بالأمينِ ، أدبٌ إلهيٌّ لم تجرِ العادةُ بأنْ تزيّنَ بهِ نفوسُ الأيتامِ من الفقراءِ ، خصُوصاً مَعَ فقرِ القوّامِ ، فاكتهلَ[5] صلى الله عليه وسلّم كاملاً والناسُ ناقِصونَ ، رفيعاً والناسُ منحطونَ ، موحِّدًا وهمْ وثنيونَ ، سِلْماً[6] وهمْ شاغبونَ[7] ، صحيحَ الاعتقادِ وهم واهمُونَ ، مطبُوعاً على الخيرِ وهمْ بهِ جاهِلونَ ، وعنْ سبيلهِ عادِلونَ[8] »

رَبَى بينَ قومٍ قدِ اعتادُوا الفُجورَ والفِسْقَ وسفكَ الدّماء وغيرَ ذلكَ منْ قبائحِ الأشياءِ ، ومعَ ذلكَ كانَ لا يَميلُ إلى

(١) اى لم يعتن (٢) اى نابتة مماثلين له فى سنه : والمراد بالنبت الابناء
(٣) الحفدة الخدم والاعوان (٤) اى اول (٥) اى جاوز الثلاثين من عمره
(٦) اى مسالما (٧) مهيجون للشرور (٨) نقلت هذه الشذرة من اولها الى هنا من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية .

ما يَعملونَ ، ولاَ يَعبُدُ ما يَعْبـدُونَ ، ولا يَفْعَلُ ما يفعلونَ ، فـكانَ عليهِ السلاَمُ أحْسنَهم أخْلاقاً ، وأصدَقهمْ حَـديثاً ، وأعظَمهمْ أمانةً ، وقدْ حفظَهُ اللهُ منْذُ صِغَرِهِ منْ كلِّ أعمَالِ الجاهِليةِ التّي جاءَ شرْعُهُ الشَّريفُ بضدِّها ، وَفى الجملةِ فقدْ خُلقَ مَفْطوراً على محَاسنِ الأفعَالِ ، مَطبوعا على جيادِ الأعمَالِ .

نَشأَ عليهِ الصلاَةُ والسلامُ ولم يكُنْ عِندَهُ ما يستَعينُ بهِ على الاستِغْناءِ عنِ الـكَسْبِ ، فلذَلكَ لمَّا بلغَ مَبْلغاً يُمكِنهُ أنْ يَعملَ عملا كانَ يرْعَى الغَنمَ معَ إخوتهِ منَ الرَّضاعِ فى البادِيةِ ، وكذلكَ لمَّا رَجعَ إلى مـكَّةَ كانَ يرْعاها لأهْلِها على قَرارِيطَ[1] على أنَّهُ لوْ أرَادَ المَـالَ وكَثْرتَهُ ، وادِّخارَهُ لـكانَ لهُ ذلكَ ، خُصوصاً بعدَ أنْ اسْتأجرَتهُ خَدِيجةُ واختَـارَتهُ أنْ يَكُونَ زَوْجهَا « وكانَ فيما يجتَنيهِ[2] منْ ثمرَةِ عملهِ غَنائِهِ[3] لهُ وعَوْنٌ[4] على بلُوغهِ ما كانَ عليهِ أعَاظِمُ قومِهِ ، لـكنَّهُ لم تَرُقهُ[5] الدُّنيا وَلم تَغرُّهُ زَخَارفُها ، ولمْ يَسلُكْ ما كانَ يَسلُـكهُ مِثلُهُ فى الوُصُولِ إلى ما تَرْغبُهُ الأنفسُ منْ نَعيمهَا ، بَلْ كلمَا تَقـدَّمَ بهِ السِّنُّ زَادَتْ فيهِ الرَّغْبةُ عمَّا كانَ عليهِ الـكافةُ ، وَنمـا[6] فيهِ حُبُّ

(١) واحدها قيراط وهو نصف دانق والدانق سدس الدرهم (٢) اى يكسبه (٣) اى فائدة (٤) اى اعانة (٥) اى لم تعجبه (٦) اى زاد

الأَنْفِرَادِ والانقِطَاعِ إلى الفِكْرِ والمُرَاقَبَةِ[1] والتَّحنُّثِ[2] بمُنَاجَاةِ اللهِ تعالى، والتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ في طَلَبِ المَخْرَجِ مِنْ هَمِّهِ الأَعظمِ في تَخْلِيصِ قَوْمِهِ، ونَجَاةِ العَالَمِ مِنَ الشَّرِّ الذي تَوَلَّاهُ[3]» وثَابَرَ على ذلكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ إلى أَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ بالنُّبُوَّةِ .

---

(١) الخشية والخوف من الله (٢) التعبد (٣) وهذه العبارة الموضوعة بين قوسين منقولة أيضاً عن رسالة التوحيد

الدور الثانى من حياته

ويبتدىء من زمن النبوة الى الهجرة

لَمَّا أَحَبَّ الرَّسولُ الانْقِطاعَ عنِ النَّاسِ وَتَفرَّغَ لِلتَّعبُّدِ والمرَاقَبـةِ كانَ أوَّلَ ما فُتِحَ لهُ منَ الأَشائرِ والدّلالاتِ هُوَ ما كانَ يَراهُ منَ الرُّؤيَا الصَّالحَةِ الصَّادِقَةِ ، فـكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلاَّ جاءَتْ كمارأى ، وقدْ اخْتارَلِعُزْلَتِهِ غارَ حراء ، فـكانَ يتعبَّدُ فيهِ ليالىَ مَعْلومةً . فَتارَةً عشرًا وتارَةً أكْثرَ ، وكانَ يأخـذ لِذَلِكَ الزَّادَ ، وَمتى فرَغَ منهُ رَجعَ إلى خَدِيجةَ فيتزَوَّدُ لِمثلِهَا .

ولمَّا بَلغَ عمرُهُ عليهِ السَّلامُ أرْبَعينَ سنةً «انفَتقَ لهُ الحِجابُ عنْ عالَمٍ كانَ يَحِنُّ إليهِ الإلهامُ الإلهىّ ، وتجلّى عليهِ النورُ القُدْسىَ وهَبَطَ لهُ الوَحىُ منَ المَقامِ العلىّ » واخْتارَهُ اللهُ لِرسَالَتِـهِ ، وأنْزَلَ عليهِ الرُّوحَ الامينَ وهوَ فى غارِ حراءَ[1] لِيُعلِّمَهُ كَيْفَ يَهْدِى قَوْمَهُ والنَّاسَ أجمعينَ ، فَصدَعَ بِما أُمرَ ، وَبَلَّغَ ما أُنزِلَ إليهِ منْ رَبِّهِ ، وكانَتْ الدَّعوَةُ سِرًّا ، فـكانَ أوَّلُ منْ آمنَ منَ الرِّجالِ أبا بكرِ بْنِ قُحافةَ[2] ، ومنَ النساءِ زَوْجَـهُ خَدِيجةَ ،

---

(١) حراء هو جبل بمكة فيه الغار الذى اعده الرسول لعبادة الله والاعتزال عن الناس أول أمره (٢) اسم ابى قحافة عثمان

ومنَ الصِّبْيانِ عليُّ بنَ أبي طالبٍ ، ولمْ يَسْجُدْ لِصَنَمٍ قَطُّ ، ولهذا يُقالُ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وقدْ أجابَ الدَّعْوَةَ كَثيرٌ منَ الأَشْرافِ والمَوالِي كَعُثمانَ بْنِ عَفَّانَ والزُّبيْرِ بنِ العوَّامِ ، وَعبدِ الرَّحمنِ بْنِ عوْفٍ ، وصُهَيْبٍ الرُّومىِّ ، وَعمَّارِ بْنِ ياسِرٍ العبسىِّ ، وعبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ ، وأَبى ذَرٍّ الغِفَارىِّ ، وعُبَيْدَةَ ابْنِ الحارثِ بْنِ عبدِ المُطَّلِبِ ابْنِ عَمِّ الرَّسُولِ ، وعثمانَ بْنِ مَظْعونٍ وكَثيرٍ غيرِهِم.

هذا ولَمْ يكُنْ مَعَ الرَّسولِ سَيْفٌ يَضْرِبُ بهِ أَعْناقَهُمْ حتى يُطيعُوهُ صاغرينَ ، ولَيْسَ معهُ ما يُرَغِّبُ فيهِ حتى يَترُكَ هؤلاءِ العُظَماءُ آباءَهُمْ ، دُونَ أنْ يَعبأُوا بمَا عنْدَهُمْ منَ الثَّرْوَةِ الوافِرَةِ ويتَّبعُوا هذا الرَّسُولَ ويتحمَّلوا إهانةَ أَهليهمْ وتَعذِيبَهمْ لهمْ حتى أَنَّ الكثيرَ منهمْ كانَ واسعَ الثَّرْوَةِ أَكْثَرَ منْهُ عليهِ السَّلامُ كأَبى بكْرٍ وعُثْمانَ وخالِدِ بْنِ سَعيدٍ وغيْرِهمْ ، والذينَ اتَّبَعوهُ منَ المَوالِي اخْتارُوا الأَذَى والجُوعَ والمشَقَّاتِ ، ولمْ يَرْجعُوا إلى دِينِ آبائِهمْ وسادَاتِهمْ ، ولو اتَّبعُوا سادَاتِهمْ لكانُوا فى هذِهِ الدُّنْيا أَهْنأَ بالاً وأَنْعمَ عيشةً ، ولكنَّ الدِّينَ الحَقَّ ، ما حلَّ فى قَلْبٍ ولا سَطَعَ على عقْلٍ إلاَّ فَضَّلهُ على كلِّ ما سواهُ ،

فترة الوحى

وَقدِ انقَطعَ الْوَحْىُ مُدَّةً لم يَتفِقْ عليها المُؤَرِّخُونَ ، وَأَرْجَحُ أَقوَالِهم فيهَا أَنَّهَا أرْبَعُون يَوْماً ، وَالحِكْمَةُ منْ فتْرَةِ الْوَحْى هذهِ المُدَّةَ أنْ يَشْتَدَّ شَوْقُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اليهِ فيكُونَ استِعْدَادُهُ لِتَلَقِّيهِ أَكْثَرَ ، وَقدْ كانَ الأَمْرُ كذَلِكَ ، فقدْ زَادَ هيَامُهُ عليْهِ السَّلامُ بالْوَحْيِ وَاشْتِيَاقُهُ اليهِ وَزَادَ قَلقُهُ خَوْفاً منْ قَطيعةِ اللهِ لهُ بعْدَ أنْ أرَاهُ نعمَتَهُ الكبرى ، وَهىَ اخْتِيَارُهُ لأَنْ يكُونَ وَاسِطَةً لهِدَايةِ خَلْقهِ .

ثُمَّ تَتَابَعَ نُزُولُ الْوَحْىِ عليهِ صلى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ .

وكانَ أوَّلَ مَا علَّمَهُ جبريلُ مَلَكُ الْوَحْىِ منَ الآيَاتِ قولهُ تعالى : « اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الانْسَانَ منْ عَلَقٍ ؛ اقرَأْ وَرَبُّكَ الاكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بالْقلَمِ ، علَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعلمْ »

الدعوة سرا ثم جهرا

وكانَتِ الدَّعْوَةُ سِرًّا حَذَرًا منْ مُفَاجَئَةِ النَّاسِ بأمْرٍ غرِيبٍ. ثُمَّ أمَرَهُ اللهُ بالجَهْرِ بقوْلِهِ تعَالى : « فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ

عَنِ المُشْرِكِينَ » فلبّى دَاعِيَ اللهِ ، وخاضَ [1] غمرَاتِ [2] الدّعْوَةِ وَسلكَ مَفَاوِزَ [3] النّصيحةِ ، واقْتحمَ ميْـدَانَ الإِرْشادِ ، ودَعَا النّاسَ إلى اللهِ تعالى وَعبادَتِهِ وحدَهُ ، وأَنْ يترُكُوا ما كانَ عليهِ آباؤُهمْ منَ الشّرْكِ والْـكُفْرِ وعبادَةِ الأَوْثانِ ودُعاءِ الأَصْنامِ، وأَمرَهمْ بتَرْكِ المُنكرَاتِ ، وَهجْرِ المحرّماتِ ، فمِنْهمْ منْ هدَى ومِنْهمْ منْ حقّتْ عليهِ الضّلالةُ

وقدْ لاَقَى منْ أَجلِ ذلكَ أَذًى عَظِيماً منْ قوْمِهِ كالرّمْيِ بالحجَارَةِ وَرَمْيِ الْقذَرِ على بابِهِ وَعزْمِهِمْ على خَنْقِهِ وقتْلِهِ ، إلى غيْرِ ذَلكَ ممّا يَحْمرُّ لهُ وجهُ الإِنْسانيّةِ خَجلاً ، وكانَ يشْتدُّ أَذَاهمْ لهُ إذا ذَهبَ إلى الصّلاةِ عنْـدَ الْبيتِ ، وقدِ استمرُّوا على أَذَاهُ واستَمرّ على الصّبْرِ ، إلى أنْ صَرَعَ الحَقُّ البَاطلَ « إنّ الْباطِلَ كانَ زَهوقاً »

السنة الخامسة من النبوة فما بعدها

وَفي السّنَةِ الخامِسَـةِ منَ النُّبوّةِ أَمرَ الرّسُولُ أَصْحابَهُ بالهِجْرَةِ إلى الحَبشَةِ ، وذَلكَ أَنّ الأَذَى لم يكُنْ قاصِراً على الرّسولِ

(١) اى اقتحم (٢) اى شدائد (٣) مهالك وهى جمع مفازة

بَلْ تَناوَلَ أَصْحابَهُ لِاتِّباعِهِمْ إِيَّاهُ ، خُصوصاً مَنْ لَيْسَ لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ أَوْ قَبِيلَةٌ تَرُدُّ عنهُ كَيْدَ أَعْدائِهِ ، فَهاجَرَ نَاسٌ مِنْهُمْ فِرارًا بِدِينِهِمْ ، وَهِيَ أَوَّلُ هِجْرَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَعِدَّةُ أَصْحابِها عَشَرَةُ رِجالٍ وخَمْسُ نِسْوَةٍ ، ثُمَّ رَجَعُوا بعدَ ثلاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَفِي ذلكَ الوَقْتِ أَسْلَمَ حَمزَةُ عَمُّ الرَّسولِ وعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهما ، وكانَ المُسْلِمونَ إِذْ ذاكَ بِضْعَةً وأَرْبعِينَ رَجُلاً وإِحدَى عشرَةَ امْرَأَةً .

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ كانَ دُخُولُ النبيِّ الشِّعْبَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طالِبٍ وَبَنِي هاشِمٍ والمُطَّلِبِ مُسْلِمِهِمْ وكافِرِهِمْ ماعَدَا أَبالهبٍ وذلكَ عِنْدَ ماهَمَّتْ قُرَيْشٌ بِقَتْلِهِ لَمَّا رَأَوْهُ أَنَّ أَمْرَهُ فِي الازْدِيادِ وَأَنَّ الإِسْلامَ قَدْ فَشا وانْتَشَرَ فِي القَبائِلِ ، فلمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِدُخُولِهِمْ الشِّعْبَ أَجْمَعُوا على مُنابَذَتِهِمْ ، وأَنْ لاَ يَقْبَلوا لهُمْ صُلْحًا أبدًا ، وقَطَعُوا عنهمْ الأَسْواقَ ومنعوهُمْ الرِّزْقَ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، وكَتَبُوا بذلكَ صَحِيفَةً تَتَضَمَّنُ التَّضْيِيقَ عليهِمْ فِي كلِّ شَيْءٍ وعَلَّقُوهَا فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ

وبعدَ دُخُولِ الرَّسُولِ شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ أَمَرَ أَصْحابَهُ بالهِجْرَةِ إِلى الحَبَشَةِ وَهِيَ الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ ، وعِدَّةُ أَصْحابِها نَحْوُ

ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وتوجه إليهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الأشعريون أبو موسى وقومه.

فلما رأت قريش استقرار المهاجرين فى الحبشة أرسلوا إلى مليكها النجاشى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم والتمسوا منه أن يرد من هاجر إلى بلاده من المسلمين، فأبى ذلك وردهما خائبين. ثم أسلم النجاشى ومن معه من القسيسين والرهبان سنة سبع من الهجرة لما سمعوا سورة مريم، فأنزل الله فى حقهم «لتجدن أشد الناس مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون» ثم مات النجاشى مسلماً وصلى عليه رسول الله لما أعلمه جبريل بوفاته، وهذه هى أصل صلاة الجنازة على الغائب كما فى صحيح البخارى.

وفى السنة العاشرة قام رجال من قريش بنقض الصحيفة فخرج الرسول ومن معه بعد أن مكثوا فى الشعب قريباً من ثلاث سنوات فى شدة الجهد والجوع لا يصل إليهم شىء إلا سراً، حتى إنهم أكلوا أوراق الشجر، وكان الرسول قد أخبر

أَنَّ الأَرَضَة[1] أَكَلَتْ مَا فِى الصَّحِيفَةِ مِنَ الكِتابَةِ إِلاَّ أَسْمَاءَ اللهِ ، فلمَّا أَنْزَلوهَا لِيُمَزِّقوها وجدُوهَا كما أَخبرَ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ ، ومعَ ذلِكَ فلمْ يَزِدهمْ ذلِكَ إلاَّ بَغياً وَعُتُوًّا .

وَفِيهاَ وَفَدَ عليهِ وفْدٌ منْ نَصارَى نجْرَانَ فأسلموا .

وَفِيها تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ زَوْجُ الرَّسُولِ ، وبعْدَ وَفاتِهاَ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ تُوُفِّيَ عمُّهُ أبو طَالِبٍ ولهُ مِنَ العُمْرِ سَبْعٌ وثمانُونَ سنَةً ، وكانَ يَدْرَأُ عنْهُ الأَعدَاءَ ، ويدْفَعُ عنهُ الأَلِدّاء ، وَيَمْنَعهُ مِمَّنْ يُرِيدُ أَذَاهُ ، وَمعَ أَنّهُ كانَ يُصدِّقُ الرَّسُولَ فيما جَاء بِهِ ويَعتَقِدُ صدْقهُ بِكلِّ ما أَخبرَ لَمْ يَنطِقْ بالشّهادَتيْنِ حتَّى آخرِ لحظَةٍ منْ حَياتِهِ خوْفًا مِنْ تَعْيِيرِ قَوْمِهِ إِيّاهُ ، ولَمّا حَضرَتْهُ الوَفاةُ جمعَ وُجُوهَ قرَيْشٍ وأَشْرَافَهمْ وأَوْصاهمْ بالنّبيِّ خيْرًا وأَنْ يكونوا منْ أَنْصارِه وَأَعوانِهِ ، ومنْ جُملةِ ما قالهُ : « وقدْ جَاءَكمْ بِأَمْرٍ قَبِلَهُ الجَنانُ ، وأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ ، مخَافَةَ الشّنآن[2] »

وبعْدَ وفاتِهِ نالَتْ قُرَيْشٌ منَ الرَّسولِ مالمْ تَقْدِرْ على نَيْلِهِ فى حَياةِ أَبِى طالِبٍ ، واشْتدَّ أَذَاهمْ لهُ وتَعصبُهمْ عليهِ .

---

(١) الارضة هى دويبة تأكل الخشب والورق يقال أرضت الخشبة بالمجهول تؤرض أرضاً بسكون الراء فهى مأروضة اذا أكلتها الارضة (٢) أى البغض أى أنكرنا رسالته بألسنتنا مخافة أن نبغض الى قومنا ونعير بذلك

فلمّا رأى ذلك هاجرَ إلى الطّائفِ فإنّ فيه بني ثقيفٍ ليُعينوهُ على قومِهِ، ويُساعدوهُ حتى يتمّمَ أمرَ ربهِ، وكانَ معهُ زيدُ بنُ حارثةَ، فأقامَ بالطّائفِ شهرًا يدعوهُمْ إلى اللهِ تعالى فلمْ يُجيبُوا، بلْ ردُّوا عليهِ ردًّا قبيحًا وأغرَوْا بهِ سفهاءَهمْ وعَبيدَهُمْ يسبُّونهُ، ورمَوْا عراقيبهُ بالحجارةِ حتى اختضبَتْ نعلاهُ بالدّماءِ، وكانَ مولاهُ زيدٌ يقيهِ بنفسهِ حتّى لقدْ أُصيبَ في رأسه بجراحاتٍ، فلمّا لمْ ينلْ منهُمْ خيرًا رجعَ إلى مكّةَ ودخلهَا في جوارِ المُطعِمْ بنِ عديّ.

وفي السّنةِ الحاديةَ عشرةَ أكرمَهُ اللهُ بالإسراءِ والمعراجِ أمّا الإسراءُ فهوَ توجّهُهُ ليلاً منَ المسجدِ الحرامِ [1] إلى المسجدِ الأقصى [2] في بيتِ المقدسِ ورجوعُهُ منْ ليلتهِ، وأمّا المعراجُ فهوَ صعودُهُ إلى العالمِ العُلويّ، وفيهِ فُرضتِ الصلَواتُ الخمسُ والإسراءُ كانَ برُوحهِ وجسدِهِ، وخالفَ في ذلكَ منْ لا يُعبأُ بقولهِ، وأمّا المعراجُ فقدِ اختلفُوا فيهِ: أكانَ بالجسدِ والرُّوحِ معًا أمْ بالرُّوحِ فقطْ: (أيْ كانَ رُؤيا صادقةً) فالجمهورُ على أنهُ كانَ بهمَا معًا، وذهبَ بعضهمْ إلى أنّهُ كانَ بالرُّوحِ فقطْ ومنهم

(١) هو مسجد مكة (٢) هو مسجد القدس

عائشةُ والحسنُ ومعاويةُ وغيرُهم.

بدء انتشار الدين الاسلامى

لمّا رأى الرسولُ أنّ قريشاً لم تُمكّنْه من تأديةِ الرسالةِ كان يخرجُ فى مواسمِ العربِ، ويعرضُ نفسَه على القبائلِ، فكانَ منهم من يردُّ ردًّا قبيحاً، ومنهم من يردُّ ردًّا حسناً، ومن أقبحهم ردًّا بنو حنيفة رهطُ مسيلمةَ الكذّابِ.

وممّن عرضَ نفسَه عليهم نفرٌ من عربِ يثربَ [1] من الأوسِ، فلمّا كلّمهم النبيُّ عرفوا وصفَه الذى كانتْ تصفُه به اليهودُ، فقالوا فيما بينهم، واللهِ إنّه النبيُّ الذى تواعدَنا به اليهودُ فلا تسبقَنا إليه؛ فآمنَ منهم ستةٌ كانوا سببَ انتشارِ الإسلامِ فى المدينةِ، ومنهم أسعدُ بنُ زرارةَ، ثمّ انصرفوا بعدَ أنْ وعدُوه بالمقابلةِ فى الموسمِ المقبلِ.

فلمّا كانَ العامُ القابلُ لقيَه اثنا عشرَ رجلاً، منهم عشرةٌ منَ الأوسِ واثنانِ منَ الخزرجِ، وفيهم خمسةٌ منَ الستّةِ الأولى، فآمنوا عندَ العقبةِ وبايعُوه على ما أحبّ، وهىَ العقبةُ الأولى، وكانتِ المبايعةُ على ما يأتى وهىَ: «أنْ لا نُشركَ باللهِ

(١) هى المدينة المنورة

شيْئاً ولاَ نَسْرِقَ ولاَ نَزْنِيَ ولاَ نَقتُلَ أَوْلاَدَنَا ولاَ نأْتِيَ ببُهْتانٍ نَفتَرِيهِ بينَ أيْدِينَا وأرْجُلِنَا ولاَ نَعْصِيهُ فى مَعْرُوفٍ وأَنْ تقُولَ الحَقَّ حَيْثُ كُنَّا لا نخَافُ فى اللهِ لوْمَةَ لاَئمٍ » فقالَ لهم عليهِ السَّلامُ : فإنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمُ الجنَّةُ .

ثمَّ انْصرَفُوا إلى المدينَةِ فأظهَرَ اللهُ فيهَا الإسْلاَمَ ولمْ تبقَ دَارٌ منْ دُورِ المَدِينَةِ إلاَّ وَفيهَا ذِكْرُ الرَّسُولِ

ولمَّا كانَ العامُ الآتى سنةَ ثلاَثَ عَشرَةَ لِلنُّبُوَّةِ وفَدَ على الرَّسُولِ منهُمْ سَبعُونَ رَجلاً وامْرَأَتَانِ ، فأسلَمُوا وبَايَعُوهُ عِنْدَ العَقَبةِ وهيَ العقَبةُ الثَّانيَةُ .

ثمَّ نقَّبَ عليهم الرَّسُولُ اثْنيْ عَشرَ نَقِيباً منهُمْ ، لِكُلِّ عَشيرَةٍ نَقِيبٌ ، وقال لهمْ : أنتمْ كُفَلاءُ على قوْمكمْ ككَفَالَةِ الحَوَارِيِّينَ لعيسَى بن مرْيمَ ، وإنِّى كَفيلٌ على قوْمِى

ثمَّ انْصرَفُوا إلى المَدينَة فانْتشَرَ الإسْلامُ فيهَا بينَ أهلِهَا رضيَ اللهُ عنهم .

الدور الثالث من حياته

ويبتدىء من الهجرة إلى وفاته

الهجرة إلى المدينة

ثُمَّ إنَّ الرَّسولَ أمَرَ جميع المسلمين بالهجْرَةِ إلى المدينةِ لازْدِيادِ الأَذَى عليهمْ ، فصارُوا يَتَسَلَّلُونَ [1] خوْفًا مِنْ أَنْ تَمْنعهُمْ قُرَيْشٌ ، وَلَمْ يَبْقَ في مكةَ إلاَّ القلِيلُ . أَمَّا قُرَيْشٌ فلمَّا رأوْا ذلِك أجْمَعُو علَى قتْلِ الرَّسول ، وجمعُوا من كلِّ قبيلةٍ شابًّا حتَّى يتفرَّقَ دَمُهُ في القبائلِ . فأعلَمَ اللهُ نبيهُ بمَا دَبرَّهُ الأعْداء منَ الكَيْدِ ، وَأَمَرَهُ بالالحاق بدار هجرَته الَّتي يَنْتشرُ فيهَا الاسلامُ ، فتواعدَ هوَ وأبو بكرٍ عَلَى السفَرِ وَأَعْطَيَا دليلاً ماهراً راحلتيْنِ [2] وأمَرَاهُ أَنْ يَجيءَ بهما بعدَ ثلاثِ ليَالٍ إلى غار ثوْرٍ [3] وكانت ليلةُ خروج الرسول من مكةَ هيَ التي أعدَّها المشركونَ لِاغتيَالِ الرسُولِ فالتفَّ الشبَّانُ حوْلَ داره ، فخرجَ الرَّسولُ وَقد أَلقَى اللهُ النومَ عليهم فلم يَرَهُ منهم أحدٌ ،

(١) أى يخرجون واحداً بعد واحد (٢) واسم هذا الدليل بديل بن ورقاء
(٣) ثور جبل بمكة فيه الغار وهو الغار المذكور فى القرآن الكريم

وخلَّفَ مكانَهُ ابْنَ عمِّه عليَّ بْنَ أبى طالبٍ ليؤدِّيَ ودائعَ للناسِ كانت عنده .

ثم سار حتى اجتمع بأبى بكر فأسرعا حتى وصلا إلى غار ثَوْرٍ . وكانَتْ سِنُّهُ إذْ ذاكَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ ثلاثاً وخمسين سنةً

فلمَّا عَلِمَ المشركونَ بفسادِ مكْرِهِمْ هاجُوا لذلِكَ ، فأرْسَلوا الطُّلَّابَ مِنْ جهةٍ ، وجعلوا لمن يأتى به أوْ يَدُلُّ عليْهِ مائَةَ ناقةٍ ، وقد وصلوا فى طلبِهم إلى الغار فأعمَى اللهُ أبصارهم عنهما ، وممَّا يُذْكَرُ أنَّ الرّسولَ عليْهِ السلامُ حينما كان ذاهبًا معَ أبى بكرٍ إلى الغارِ كانَ غيرَ لابسٍ شيْئًا فى رجليه فحَمَلَهُ أبُو بكرٍ عَلَى كاهلهِ حتَّى انْتهى إلى الغارِ ، فلمَّا أرَادَ النَّبيُّ أنْ يَدْخُلَ قال له أبُو بكْرٍ وَالَّذِى بعثَكَ بالحقِّ نبيًّا لاَ تَدْخُلهُ حتَّى أدْخُلَهُ فدخل أبو بكرٍ فجعلَ يَلمَسُ الغارَ بِيَدِهِ فى ظُلمة الليلِ مخافةَ أنْ يكُونَ فيهِ شىءٌ يؤْذِى الرسول صلى اللهُ عليه وسلم ، فلمَّا لمْ يرَ فيهِ شيئًا أوْعزَ إلى الرسول بالدخول ، ولمَّا أرادَ الرسُولُ النومَ جعلَ أبو بكر رضيَ الله عنه رأسَهُ عَلى رُكْبتهِ ، وبينما كان عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نائمًا رأى أبو بكرٍ ثقبًا فى الأرْضِ فوضعَ عَقِبَهُ عليْهِ خَشْيَةَ أنْ يَكُونَ فيهِ ما يؤْذِى الرسُولَ فلدَغتهُ

عقرَبٌ كانَتْ فيهِ فلم يتحرّكْ فلما اشتدّ بهِ الألمُ تساقطتْ دموعه على وجهِ الرّسُولِ فاستيقظَ ، فقالَ لهُ مايُؤْذِيكَ فقالَ : لُدِغتُ فتَفلَ عَليهِ فذهبَ مايَجِدُهُ من الألَمِ باذْنِ اللهِ

وَبَعْدَ ثلاثِ لَيالٍ جاءَهما الدليلُ بالرّاحِلَتَيْنِ فساروا قاصدين إلى المدينةِ ، فوَصلوا إلى قُبَاءَ يومَ الاثنين لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ من رَبيعٍ الأوّلِ . وكانَ التّارِيخُ منْ ذلكَ ثم رُدَّ إلى المُحَرّم . وَهُوَ أوّلُ تاريخٍ جَديدٍ لظهُورِ الإسْلام بعدأن مضى عليه ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً وَهُوَ مُضَيّقٌ عَلَيْهِ في مكةَ ورسولُ اللهِ ممنُوعٌ من الجَهْرِ بعبادَةِ ربهِ — وَبهذهِ الهجْرَةِ تَمّتْ لِلرّسولِ سنّةُ إخْوانهِ منَ الأنْبياءِ قَبلَهُ ، فما مِنْ نَبيٍّ إلاّ نبتَ في بلادِ نَشأتهِ ثمّ هاجَرَ عنها ، من ابراهيمَ أبي الأنبياءِ إلى عيسى بْنِ مَرْيَمَ كلمةِ اللهِ

وَقد بَنى رَسُولُ اللهِ وَهُوَ في قُباءَ مَسجدَهَا الذي وَصفهُ اللهُ بأنّهُ مَسجدٌ أُسّسَ عَلى التّقْوى منْ أوّلِ يَوْمٍ ، وَقَدْ صَلّى فيهِ الرّسولُ بِمَنْ مَعَهُ منَ المُهاجِرينَ والأنْصارِ .

ثمّ خَرَجَ الرّسُولُ مِنْ قُباءَ بعدَ أنْ قامَ فيهَا اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ليلَةً . وَفي الطّرِيقِ أَدْرَكَتْهُ الجمعةُ فصلاّها

بِمَنْ مَعَهُ منَ المسلمِينَ وكانُوا مِئَةً ، وَهيَ أَوّلُ جُمْعَةٍ صلاَّهَا

ثمّ رَكِبَ الرَّسُولُ بَعْدَ الجُمَعةِ وتَوَجَّهَ إلى المدينةِ ، وَالأَنْصارُ مُحِيطُونَ به، وَهُمْ مُتَقلِّدُونَ سيُوفَهُمْ ، وهنَا حدِّثْ عن سرورِ أهلِ المدينةِ ولا حرَجَ ؛ وَقَدْ خَرَجَ لِمُلاَقاتِهِ فيمَن خَرَجَ النِّساءُ وَالصِّبْيَانُ وَالولائِدُ — ينشدن :

أَشْرَقَ البَدْرُ علينا　　من ثَنِيَّاتِ الودَاعِ
وَجَبَ الشكْرُعلَيْنا　　ما دَعا للهِ داعِ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فينَا　　جِئْتَ بالأَمْرِ المُطاعِ .

وَلَمَّا اُستَقرّ عليه السلامُ في المدينةِ أرْسلَ في طَلَبِ مَنْ تَخلَّفَ منْ أَهْلِهِ ، وَخَرَجَ مَعهمْ عبْدُ اللهِ بْنُ أبي بكْرٍ في عيَالِ أبيهِ ، ومنعَ مُشرِكُو مكّةَ بعضاً منَ المسلمينَ المُستَضعَفِينَ من الهِجْرَةِ وحَبَسُوهُمْ وَعذّبُوهم

السنة الاولى من الهجرة

فيها بنى مسجدَه الشريفَ ، وقد عَمِلَ فيه الرسولُ بِنَفْسِهِ ترغيباً للمسلمين فى العمل

وفيها شُرِعَ الأذانُ لِيَجْتَمِعَ النَّاسُ متى حان[1] وَقْتُ الصلاةِ

وَلمَّا رَأَتِ الْيهُودُ أنَّ قَدَمَ الإِسلامَ قد رسختْ فى المدينة هاجَتْهم[2] العداوةُ والحسدُ فتحزَّبوا على المسلمين ، وقد كانوا من قبلُ يَسْتَفْتِحُون[3] عَلَى المشركين بنبيٍّ يُبْعَثُ قَدْ قَرُبَ زمانُهُ وذلِكَ اذا نشبت[4] الحرب بين الفريقين ؛ ولكن أَعْمَتْهُمُ الرئاسةُ فاستعظموا الامرَ . وكانَ يساعدهم على عملهم هذا جماعةٌ منافقونَ من عربِ المدينة يَرْئِسُهُمْ عبد الله بنُ أُبَيِّ ابن أبي سَلُولٍ الْخَزْرَجِيّ . ثم عقدَ الرَّسولُ مَعَ الْيهُودِ عَقْداً على أن يتركوا أذاهُ ويترك محاربتهم

(١) أى قرب (٢) اثارتهم وهيجتهم (٣) أى يستنصرون (٤) علقت

مشروعية القتال

عَلِمْتَ أَنَّ الرَّسولَ لم يكُنْ معهُ سَيْفٌ يَضْرِبُ بِهِ أَعْناقَ النَّاسِ لإِكْرَاهِهِم على الدِّينِ ، بَلْ كانَ الأَمْرُ قاصِرًا على الدَّعْوَةِ والتَّبْشِيرِ ، فَعارَضَهُ مَنْ عارَضَهُ ، وآذَاهُ مَنْ آذَاهُ بَغْيًا وحَسَدًا وطَمَعًا فِي الرِّئَاسَةِ ، ومعَ ذلكَ كانَ الرَّسولُ ومَنْ آمَنُوا معهُ صابِرِينَ على ذلكَ الأَذَى والضَّيْمِ ، الى أَنْ فَرَّجَ اللهُ عنهم بالهِجْرَةِ وشَدَّ أَزْرَهُمْ وأباحَ لهمْ أَنْ يأخُذُوا بثأرِهِمْ مِنْ أَعْدائِهِم قُرَيْشٍ ، وكانَ الأَمْرُ قاصِرًا عليْهِمْ ، لكِنْ لَمَّا انْحازَ إلى قُرَيْشٍ غيرُهُمْ منَ العرَبِ ، وَجاهَرُوا المُسْلِمِينَ بالعَداوَةِ وساعَدُوا قُرَيْشًا قاتَلَهم المُسْلِمونَ ، وكذا لَمَّا جاهَرَتِ اليَهودُ بالعُدْوانِ وأَرادُوا حَرْبَ المُسْلِمِينَ قاتَلَهم المُسْلِمونَ ، ثمَّ صارَ الأَمْرُ بالجِهادِ عامًّا لِكُلِّ مَنْ أَرادَ المُسْلِمِينَ بِسُوءٍ ، وَبِهذا تَعْلَمُ صِحَّةَ ما أَثْبَتْناهُ فِي أَوَّلِ الرِّسالَةِ مِنْ أَنَّ الدِّينَ لمْ يَقُمْ بالسَّيْفِ وإنَّما قامَ بالدَّعْوَةِ ، والسَّيْفُ إنَّما شُرِعَ لحمايتِها ودَفْعِ المُعارِضينَ لها .

بدء القتال

ولما أُذِنَ لِلرَّسُولِ بِقِتالِ أَعْدائِهِ كانَ أَوَّلَ ما بدأهمْ بهِ أنهُ أَرْسلَ سَرِيَّةً[١] بِرِئَاسَةِ عمِّهِ حَمزَةَ لِاعتِراضِ عيرٍ[٢] لهمْ قادمةٍ منَ الشَّامِ، ولمْ يكُنْ حَرْبٌ، ثم سريةً بِرئَاسةِ عبيْدَةَ بْنِ الحارثِ ابْنِ عبْدِ المُطَّلِبِ لِاعتِراضِ عِيرِهمْ، فكانَ الرمْيُ بالنِّبَالِ إلى أنْ هرَبَ المُشرِكونَ

السنة الثانية

غزوات ودان وبواط والعشيرة وبدر الاولى

فيها غزوة ودان — خرَجَ الرَّسُولُ في سِتِّينَ رَجلاً مُعترِضاً عِيرَ قُرَيْشٍ، ولمْ يكُنْ حَرْبٌ لِأَنَّ العيرَ كانت قدْ سبَقتهُ

وفيها غزوة بواط : خرَجَ في مائتيْنِ منَ المُهاجرِينَ للعِيرِ ولمْ يَلْقَ كَيْداً

(١) المراد من السرية كل غزاة لم يكن فيها رسول الله . والمراد بالغزوة ما كان فيها الرسول (٢) العير الجمال التى تحمل الطعام وغيره وكان معها ثلاثمائة رجل يرئسهم أبو جهل . وقصد الرسول من أخذ العير أن تضعف قوة قريش المالية فلا يستطيعوا الثبات فى المحاربة لانهم كانوا بلا شك يقصدون قتاله انتصارا لآلهتهم

وفيها غزوة العشيرة : خَرَجَ فيها الرّسولُ بمئةٍ وخمسينَ منَ المهَاجرينَ لاعتراض عيرٍ عظيمةٍ لقُرَيْش يرأسُها أبو سفْيانَ ، وكانَتْ قاصدةً إلى الشَّام ولم يحصلْ حربٌ لفوَاتِ العير

وفيها غزوة بدر الاولى : وتُسمى غزْوَةَ سفوَان أيْضاً : خرَجَ إليْها الرّسولُ في طَلب كُرْز بْن جابر الفِهْرِيِّ لأنَّهُ أغارَ على سَرْحِ [1] المدينَةِ وهرَبَ ، ولمْ يكُنْ قِتالٌ لفرار كُرْز

وفيها : أرْسلَ سَرِيَّةً برئَاسَةِ عبْدِ الله بْن جَحش لاعتراض عيرِ قُرَيْشٍ القادِمَةِ منَ الشَّام ، فأصابُوها ورَجَعُوا ، وهيَ أوَّلُ غَنيمةٍ في الإسْلام .

وفيها : تحوَّلَت القِبلةُ عنْ بيْتِ المَقدِس إلى الكَعْبَةِ بعدَ أنْ مَكَثَ المُسلمونَ يَتوَجهُونَ إلى بَيْتِ المَقدِسِ ستَّةَ عَشرَ شَهرًا .

صوم رمضان وزكاة الفطر

وَفي شَهْرِ شعْبانَ منْ هذهِ السَّنةِ فُرِضَ صوْمُ رَمضانَ ، وكانَ عليهِ السَّلامُ قبلَ ذلكَ يَصومُ ثلاثةَ أيَّامٍ منْ كلِّ شهْرٍ .

والحِكْمةُ منَ الصوْمِ أشْهرُ مَنْ أنْ تذْكرَ ، ولوْ لمْ

(١) السرح المال الراعي كالغنم ونحوها

يكُنْ منْ فوَائِدِهِ سوَى أَنَّ الصائِمَ يَذُوقُ منْ قوَارِصِ الجُوعِ والْعَطَشِ ما تَلِينُ بِهِ نَفْسُهُ ويَتهذَّبُ بهِ خُلُقُهُ ، فيَتذَكَّرُ حالةَ الفُقَرَاءِ والمَساكِينِ ، فيَسْهلُ عليْهِ بَذْلُ الصَّدَقاتِ لهمْ رَحمَةً بِهِمْ لَكَفى .

وقدْ أَوجَبَ الشَّارِعُ الحَكيمُ عقِبَ الصوْمِ زَكاةَ الفِطْرِ وجَعَلَ قَبُولَ الصوْمِ مُعلَّقاً على بَذْلِهَا لِمُسْتحِقِّيهَا ، والفَائِدَةُ منَ الصوْمِ والصَّدَقَةِ فى الحَقِيقَةِ رَاجِعةٌ إِليْنَا ، ومَنفعةُ ذَلِكَ عائِدَةٌ عَلَيْنا ، لأَنَّ اللهَ لَيْسَ مُحْتَاجاً إِلى عِبَاداتِنا ، وإنما أَمرَنَا بِذَلِكَ لِما فيهِ منَ الخَيْرِ العمِيمِ ، واللهُ غَنِيٌّ عن العالمِينَ

وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ أَمرَ النَّاسَ لِإِعنَاتِهِمْ وإِرْهَاقِهِمْ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيهِمْ فهوَ جَاهِلٌ غِرٌّ بَعِيدٌ عنْ مَحَجَّةِ الصوَابِ ، إِذْ ما منْ عِبَادَةٍ إِلاَّ فِيهَا حِكْمَةٌ بَاهِرَةٌ ومَوْعِظَةٌ ظَاهِرَةٌ ، يَعلَمُهَا منْ يَعلَمُهَا وَيَجهلُهَا مَنْ يجْهلُهَا

زكاة المال وحكمتها

وفى السنة الثانية أيضاً فَرَضَ اللهُ علَى الأَغنِياءِ منَ الأُمةِ الزّكاةَ الَّتى هِىَ النظامُ الوحيدُ والسببُ الأَقْوَى لدَفعِ غائلة

الفقرِ والإعدامِ عنِ الأمَّةِ إنْ هيَ صُرِفتْ بحقِّها على مُستحقِّيها فيأ كلُ الفُقرَاءُ والمَساكينُ والعَجزةُ واليَتامَى الذينَ ليسَ لهمْ مَنْ يقومُ بحَاجاتِهم ولا ما يَقومُ بأَوَدِهمْ منْ مالِ إخوَانهم الأغنياءِ بلاَ ضَرَرٍ ولاَ ضِرَارٍ .

والزَّكاةُ لمْ يُوجِبْها الشَّارعُ الحكيم عَبَثاً بلْ لمَنافعِها الجمَّةِ وفوائِدِها الكثيرةِ التي منها تهذيبُ النفوسِ حتى تتجرَّدَ عَنْ رَذِيلةِ الشُّحِّ ودَناءَةِ البُخلِ ، وَتتحلَّى بأوْصافِ الجُودِ ، وَتتزيَّنَ بِنعوتِ السَّخاءِ والكرَمِ ؛ هذا عدَا ما قدَّمناهُ منْ رَفعِ الفُقرَاءِ منْ وَهدَةِ العُدْمِ وتخليصِهم منْ مَخالبِ الفقرِ . وكلُّ مَنْ نَظرَ نظرَةَ مُنصِفٍ بَعيدٍ عن التَّعَصُّبِ يحكمُ أنَّ نِظامَ الزَّكاةِ معَ كوْنهِ غيرَ مُضِرّ بالأغنياءِ سبَبٌ لتَخفيفِ وطأةِ الفقرِ الذي أَحْوَجَ كثيراً منْ فقرَاءِ الأُمَمِ أنْ يُخالفوا نِظامَ الإنسَانيةِ ويُؤسِّسُوا مَبادِئَ وأُصُولاً لتقْويضِ أرْكانِ العُمْرَانِ ومَباني الأمْنِ والرَّاحةِ ، حُبّاً بالمُساوَاةِ بينَ الغَنيِّ والفَقيرِ ، كما يَفعلُ ذلكَ فوْضَويُّو الاشتراكيِّينَ .

وأما ما أوْجبَتهُ الشَّريعَةُ الغرَّاءُ فهو في غايةِ العدْلِ ونهايةِ

الإنصافِ، لأنَّها لمْ تُجبِر الغنيَّ الذي أضاعَ جزءًا وافرًا منْ حياتِه أنْ يُشاطِرَ الفقيرَ مالَهُ، بلْ أمرَتْهُ بأنْ يُؤدِّيَ في السَّنَةِ جزءًا مخصُوصًا منْ مالِه عنْ طِيبِ نَفْسٍ منْهُ. ولَكنْ يا للأَسَفِ! فإنَّ كثيرًا ممَّنْ يُسمُّونَ أنفُسَهمْ مُسلِمينَ غافِلُونَ عنْ فائدةِ هذا النِّظامِ، ولِذَا أهمَلوا هذهِ الفَريضَةَ العظِيمَةَ، إمَّا عَنْ عدَمِ اكتراثٍ لَها، أوْ عنْ بُخْلٍ، أوْ بحِيلٍ يَظنُّ فاعِلُها أنَّها تُسقِطُ الزَّكاةَ عنْهُ، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ

غزوة بدر الكبرى

وفي هذهِ السَّنَةِ وَقعتْ غزْوَةُ بَدْر[1] الكبرَى وهيَ الثَّانية: وذلكَ أنَّ الرَّسولَ خَرَجَ ومعَهُ ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رَجلاً[2] لِيَعترضَ عِيرَ قُرَيْش العظِيمَةَ وهيَ رَاجِعَةٌ منَ الشَّام «وَهيَ التي قدَّمنا في غزْوَةِ العُشيْرَة أنَّها فاتَتْهُ ولمْ يَلقَها» فلمَّا علِمَتْ قُرَيْشٌ بذلِكَ جَمعَتِ الجُموعَ وكانتْ عِدَّتُهمْ ألْفَ رَجلٍ، فعَلِمَ الرَّسُولُ بهم فقصدَهُمْ بمَنْ معَهُ على قِلَّتِهمْ فالتَقَى الفَريقانِ ببَدْر وكانَ يوْمًا منْ أشدِّ الأيَّامِ هَوْلاً، وأيَّدَ اللهُ المُسلِمينَ بالملائِكَةِ

(١) هي اسم بئر وكانت لواقعة قريباً منها (٢) مائتان واربعون من الانصار والباقون من المهاجرين ولم تكن الانصار تخرج معه قبل هذه المرة

تقاتل معهم [١] فلم تكن إلا ساعة حتى دارت الدائرة على قريش فانهزموا تاركين في ساحة الحرب سبعين رجلا قتيلا وسبعين أسيرا ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة ، وكان هذا اليوم هو يوم الفرقان الذي أعز الله به الإسلام . وممن قتل في هذه المعمعة من المشركين حنظلة بن أبي سفيان . وأبو جهل بن هشام . وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا أو أربعة عشر رجلا ثم رجعوا إلى المدينة فرحين مسرورين بهذه النصرة العظيمة وقد امتن الله بهذا النصر على المسلمين بقوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة »

أما الأسرى فافتدتهم قريش ، وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم ؛ ومن لم يكن معه مال لفداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من صبيان المدينة ليعلمهم ، وكان ذلك فداءه .

غزوات قرقرة الكدر

وقينقاع والسويق

وفي هذه السنة : كانت غزوة قرقرة الكدر : خرج

(١) ويروى عن ابن عباس ان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وفيما سواه كانت عدداً ومدداً .

الرَّسولُ يُرِيدُ بَنِي سليم ولم يكنْ حَرْبٌ لأَنّهُ لم يَلْقَ أَحدًا ، وكانتْ غَيْبَتُهُ خَمسَ عَشْرَةَ ليلةً

وفيها غزوة قينقاع : وهم قومٌ منْ يهودِ المدينةِ ، نقضُوا العَهدَ وجاهروا بالعداوَةِ ، فحذَّر الرَّسولُ رُؤَساءهم فأغلظُوا لهُ في الكلامِ فحاصرَهم الرسُولُ . فلمَّا رأَوْا عَجْزَهمْ سألوهُ أن يُخلِّيَ سَبيلهم على أنَّ له الأَمْوالَ ولهم الذريّةَ والنساءَ فقَبِلَ منْهم وَطردَهم من المَدينة فلَحقوا بأَذْرِعات ، وأَخذَ المسلمُون منْ حصنهم سلاحًا وآلةً كثيرةً

وفيها غزوة السويق : خرَجَ يُرِيدُ أَبا سفيانَ لخرُوجهِ لِغزْوةِ المسلمين ، وكانَ معَ النَّبيِّ مِئتَا راكِبٍ ، ومعَ أَبي سُفيانَ مثْلُها ، ولم يكُنْ قِتالٌ لهرَبِ أَبي سفْيانَ ومَنْ معَهُ . وكان معَ المشْركِينَ سَوِيقٌ (١) فألقَوْهُ وهم هاربون تخفيفًا لأثقالهم فغنمه المسلمون

صلاة العيد وزواج علي بفاطمة

ودخول النبي بعائشة

وفيها : سنَّ اللهُ صلاةَ العيدِ التي لا تَخْفَى حكمَتُها على عاقلٍ

(١) السويق : هو الناعم من دقيق الحنطة والشعير

فكانَ يَجمَعُهمُ الرَّسولُ في يومَيِ عيدِ الفِطْرِ والأَضْحَى ، ويُصلي بهمْ ركْعتَيْنِ ثمَّ يَخْطُبُ بهم مذَكِّرًا وواعِظًا وحاضًّا على جَمْعِ الْكلمةِ وَعدَمِ التفَرُّق وَأَنْ يكونُوا كالجَسدِ الواحدِ لافَرْقَ بين العَرَبيِّ وَالعَجميِّ وَالموْلى وَالسَّيِّدِ ، ثم يُصافِحُ المسلمونَ بَعْضُهم بعضاً على أَتَمِّ الوئَامِ والاتِّفاقِ ، ثمَّ يخرُجونَ لأَداءِ الصدَقَاتِ . وَصدَقةُ عيدِ الفِطْرِ زكاتُه ، وصدَقةُ عيدِ الأَضْحى أُضْحِيتُهُ .

وفيها : تزَوَّجَ عليٌّ بفاطمَةَ رضيَ اللهُ عنهما ، وكانَ عمُرُهُ إحْدَى وعِشرينَ سنَةً وَعمُرُها خمْسَ عشْرَةَ سنَةً . وكانَ منْها عَقِبُ رسولِ الله صلَّى الله عليْه وسلم .

وفيها : دَخَلَ النبيُّ بعائِشةَ بنْتِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنهُما .

السنة الثالثة

غَزْوَة غطفانَ

فيها غَزْوَةُ غَطَفانَ : فقدْ خرَجَ الرَّسولُ إليها يريدُ جَمْعاً من بَنِي ثَعلبةَ ومحارِبٍ أرادُوا الإغارةَ على المدينةِ ، يَرْأَسُهمْ دُعثُورُ بْنُ الحارثِ المُحَاربيُّ ، ومَعَهُ أَرْبعمائةٍ وخَمسُونَ فارساً فلمَّا عَلِمُوا بخروجِ الرسولِ هرَبوا مُتفرِّقينَ في الجبالِ .

وحدَثَ في هذهِ الغَزْوةِ أنَّ الرسولَ نزَعَ ثوْبَهُ ليُجفِّفَهُ من بَلَلٍ كان قدْ أصابَهُ ، واتَّكأَ تحتَ شجَرةٍ ، فجاءهُ دُعثُورٌ يُريدُ قتلَهُ غِيلةً . فلمَّا همَّ بذلك قالَ : مَنْ يَمنعُكَ منِّي يا محمّد ؟ فقالَ الرَّسولُ : اللهُ تعالى ؛ فأصابَ الرَّجلَ هَيْبةٌ وخَوْفٌ ، فَسقَطَ السَّيفُ من يدهِ ؛ فتناولَهُ الرّسولُ وقالَ : مَنْ يَمنعُكَ منِّي : فقالَ دُعثُورٌ : لا أحد ؛ فَعفَا عنهُ الرَّسولُ ، فأسلمَ وَدعا أصحابَهُ إلى الإسلام . ولا عَجَبَ منْ إسْلامِهِ وإسْلامِ قومهِ ؛ فإنَّ هذهِ هيَ نَتيجَةُ الحُسنى والمعاملةِ اللَّيِّنةِ

*

غزوة بحران

وفيها غَزْوة بُحْرانَ : فقَـدْ سارَ الرَّسُولُ إليها ومعَهُ ثلاثمائةٍ منْ أصْحَابهِ ، يُرِيدُ بنى سُلَيمٍ لمّا بَلغَهُ أنَّهم يُرِيدُونَ الإغارَةَ على المدِينةِ فوَجدَهم قدْ تفرَّقوا ولم يَلقَ حرْباً .

غزوة أحد

وفى هذهِ السنةِ كانتْ غزْوة أُحُدٍ [1] سَارتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ المسلمينَ أَخْذاً بثأرِ مَنْ قُتِلَ منْ أَشْرَافهمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وكانَ عدَدُهم مَعَ منْ حالَفَهم مِنَ الْعَرَبِ ثلاثَةُ آلافِ رجلٍ ، عدَا الخيلَ والْعُدَدَ الزَّائدَةَ . فَلما عَلمَ الرَّسولُ بذَلِكَ من كِتابٍ أرْسَلَهُ إلَيْهِ عمُّهُ الْعبَّاسُ خرَجَ وَمَعَهُ الْفُ رجلٍ . ثمَّ رَجَعَ عنهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَىّ فى ثلاثمائَةٍ منْ أَصْحابهِ المُنَافقينَ . ولمّا اصْطفَّ الجيْشَانِ لِلقِتالِ أَمرَ الرّسُولُ الرُّماةَ [2] وكانوا خَمْسينَ رامِياً برِئاسةِ عبدِاللهِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وقالَ لهم : لا تَبْرَحُوا منْ مكانَـكُمْ ، انتَصَرْنا أَو انـكَسَرْنا . ثم التقى الجمعانِ ، فـكانت النُّصْرَةُ للمسلمينَ ، ودارَتِ الدَّائِرَةُ على قُرَيْش . فلمّا رأى

(١) احد هو جبل بالمدينة (٢) الرماة :من يرمون بالنبل ، ومفرده رامٍ

الرُّماة انتصارَ المسلمين تركوا مكانَهم واشتغلوا بالسلبِ والنهبِ الا رئيسَهُم عبدُ الله وقليلا معهُ. فلمّا رأى خالدُ بنُ الوليدِ (وكانَ يومئذٍ مشركاً) أنَّ الجبلَ خالٍ منَ الرُّماةِ الذينَ كانُوا حِصناً للمسلمين منْ ورائهم كَرَّ بالخيل، وتبعهُ عِكْرمةُ بنُ أبي جهلٍ، فمالُوا على عَبْدِ الله ومَنْ بقيَ معهُ فقتلوهم، ثم انعطفُوا على المسلمين منْ ورائهم وهم مشتغلون بالدُّنيا، فأعملوا فيهمُ السيفَ فدَهِشَ المسلمون منْ هذا البلاءِ الّذي صُبَّ عليهم، ودارتْ عليهمُ الدّائرةُ بعدَ الانتصار حتى انهزمَ جماعةٌ منهم. وثبتَ في ذلكَ الوقتِ الحرجِ معَ الرّسول جماعةٌ منَ الصّحابةِ، منهم أبو بكرٍ وعُمرُ وعليٌّ، وقدْ أصابهُ عليهِ السّلامُ شدائدُ كثيرةٌ تحمّلها بصبرهِ وحزمهِ، فقدْ شُجَّ وجهُهُ وكسِرتْ رُباعيتهُ بحجَرٍ وجُرحتْ وجنتاهُ. وهمَّ بقتلهِ عُثمانُ بنُ عبدِ الله بنِ المُغيرةِ فقتلهُ الحارثُ بنُ الصِّمَّةِ، وجاءه ابيُّ بنُ خلفٍ يُريدُ قتلَهُ فرماهُ عليهِ السّلام بحربةٍ فقتلهُ، ولمْ يقتلْ رسُولُ الله غيرَهُ، وكذلكَ أصابَ المسلمينَ الّذينَ كانوا يُدافِعونَ عنِ الرّسُولِ جراحاتٌ كثيرةٌ.

وكانَ عددُ مَنْ قتلَ منَ المُسلمينَ سبعينَ ونيِّفاً[١] منهمْ

(١) النيف: بتشديد الياء وتخفيفها ومعناه الزيادة ويستعمل بعد العدد فيقال عشرة

ستةٌ من المهاجرين والباقون من الأنصار . وقُتل من المشركين ثلاثة وعشرون . وقد مثلت قريش بقتلى المسلمين تمثيلاً فظيعاً .

وممن قُتل من المسلمين حمزة عمّ الرسول ، غافله وحشيٌّ غلام جبير بن مطعم بحربة كانت سبب هلاكه ؛ وكان جبيرٌ هو الذي أرسله لهذا الأمر أخذاً بثأر عمّه طعيمة الذي قتله حمزة يوم بدر .

وهذا الانكسار يذكّرنا لو نعلم بأمرين مهمّين : أحدهما عدم مخالفة الرسول في جميع ما يأمر به ، لأنه لا يأمر إلاّ بما فيه الحكمة والسّداد ، والثاني عدم الالتفات لأمر الدنيا إذا كان فيه ما يضرّ بالدين . وهذان الأمران فقدا يوم أحد ، أمّا الأول فلمخالفة الرماة أمر الرسول ، وأمّا الثاني فلترك المسلمين الجهاد والمدافعة وميلهم للسلب وعرض الحياة الدنيا ، ولذلك سلّط الله عليهم هذا البلاء ، بعد انتصارهم على الأعداء .

ونيف ومن الخطأ استعماله قبله فلا يقال نيف وعشرة كما هو الشائع على الالسنة والاقلام .

غزوة حمراء الأسد

وفيها غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ: خرجَ إليْها الرّسولُ صَبِيحَةَ يوْمِ أُحُدٍ يُرِيدُ قُرَيْشًا خوفًا منْ رُجُوعِهم إلى المدِينَةِ، وأَمَرَ أنْ لا يَخْرُجَ إلاَّ مَنْ كانَ معَهُ بالأمْسِ، ولمْ يَلْقَ حرْبًا لِأنَّ المشْرِكينَ لمَّا بلغَهُمْ ذلكَ أسْرَعُوا حتَّى لحِقُوا بمكَّةَ، خوْفًا منْ تجْمِيعِ الجُمُوعِ لهمْ.

حوادث

وفيها: تزَوَّجَ عُثمانُ بْنُ عفّانَ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ الرّسولِ بَعدَ موْتِ أُخْتِها رُقَيَّةَ، ولذلكَ يُسمَّى ذا النُّورَيْنِ.

وفيها: تزَوَّجَ عليهِ السّلامُ حفْصةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الخطّابِ وزَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ.

وفيها: وُلِدَ الحسَنُ بنُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنْهما.

تحريم الخمر

وفي هٰذِهِ السّنَةِ حرّمَ اللهُ الخَمْرَ أَلْبَتَّةَ لمَا فِيها منَ الأَضْرارِ الظّاهِرَةِ في العَقْلِ والمَالِ والجِسْمِ، ولا يُنْكِرُ ذلِكَ إلاّ مُكابِرٌ حتى إنّ كلَّ الأطِبّاءِ والعلماءِ في الشّرْقِ والغَرْبِ، قاموا على قدَمِ الجِدِّ

وساق الاجتهاد يحاربون المسكرات حربًا شديدة، ويجاهدون فيمن يميل إلى تعاطيها جهادًا أدبيًا، لتحققهم مضراتها الجمة ومفاسدها الكثيرة، ومن طالع تاريخ العرب الذين كان أكثرهم مدمنًا على شربها وجد أن فيهم أفرادًا حرموها على أنفسهم ابتعادًا من غوائلها.

وكانت الخمرة غير محرمة فى أول الإسلام، ثم حرمت تدريجًا، ولم تحرم ألبتة دفعة واحدة لصعوبة ذلك على القوم لحبهم إياها وألفتهم لها، فحرمت أولًا فى الصلاة لما شربها بعض المسلمين وخلط فى القراءة، قال الله تعالى: «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون». ثم حرمت قطعيًا لما اعتدى بعض المسلمين على إخوانهم بقوله عز وجل «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس[1] من عمل الشيطان فاجتنبوه»

أما الرسول وطائفة من أصحابه فلم يذقوها مدة حياتهم قط.

(١) الميسر: القمار. والانصاب: الاصنام تنصب للعبادة. والازلام: قداح القمار وأدواته. رجس: نجس

السنة الرابعة

غزوات بنى النضير

فيها غزوة بنى النَّضير: وهى قبيلةٌ كبيرةٌ من يهودِ المدينةِ كانَ بينهم وبينَ المسلمينَ عهدٌ يأمَنُ بهِ كلٌّ منهم كيدَ الآخرِ وقدِ اتفقَ أنَّ الرسُولَ كانَ معَ نفرٍ منْ أصحابهِ فى ديارِهم، فزيَّنَ لهمُ الشيطانُ أنْ يقتلوا الرسُولَ، فخرجَ منْ عندِهم وتبعهُ أصحابُهُ ثمَّ أرسلَ إليهم يأمرُهم بالجلاءِ (١) عنِ البلادِ فأطاعوا ثمَّ امتنعُوا فحاصرَهُمُ المسلمونَ حتى أجبرُوهم على الرحيلِ، فرحلوا وحملوا أموالَهم ونساءَهم وأولادَهم إلاَّ آلةَ الحربِ ومالا يستطيعون حملَهُ على الإبلِ

غزوة ذات الرقاع

وفيها: غزوة ذاتِ الرِّقاعِ (٢). خرجَ ومعهُ سبعمائةِ مقاتلٍ يُريدُ قبائلَ منْ نجدٍ وهمْ بنو محاربٍ وبنو ثعلبةَ لأنَّهمْ تهيأوا لحربِ المسلمين. فلمَّا علمُوا بخرُوجهِ هربُوا وتركُوا نساءَهم، ثمَّ

(١) الجلاء: النزوح (٢) سميت بذات الرقاع لانهم رقعوا فيها راياتهم وفى البخارى ماندل على أنها سميت بذلك لانهم لفوا على أرجلهم فيها الخرق.

اجتمع منهم جمعٌ لقتال الرسول ؛ فقذف الله في قلوبهم الرعب ولم تكن حرب، وفي هذه الغزوة نزل جبريل (عليه السلام) بصلاة الخوف . وفيها أيضاً نزلت رخصة التيمم

غزوة بدر الآخرة

وفيها : غزوة بدر الآخرة . خرج إليها ومعه ألف وخمسمائة رجل لميعاد أبي سفيان [1] ولم يكن قتال لأن أبا سفيان أخلف الوعد، وكان قد أرسل إلى المدينة رجلاً ليخوف المسلمين منه ومما جمعه لهم من الجموع ؛ فلم يزدهم ذلك إلا إيماناً وثباتاً، وقد ظن إن عمله هذا يثبط [2] المسلمين عن الخروج فلا يكون هو المخلف للوعد .

حوادث

وفيها : توفيت زينب بنت خزيمة زوج الرسول

وفيها : ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما

وفيها : تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً

وفيها : أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود ليكتب له إليهم ويقرأ له ما يكتبونه إليه .

(١) كان ابو سفيان قال لهم يوم أحد قبل انصرافه : موعدكم بدر ، العام المقبل فاجابه المسلمون الى ذلك وخرجوا هذه السنة ايفاء بالوعد (٢) أى يشغلهم عنه ويمنعهم منه

السنة الخامسة

غَزْوة دَوْمَةَ الْجَنْدَل

فيها غزوة دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ[1] : خرج إليها الرَّسولُ بِأَلْفِ رجُلٍ ، يُرِيدُ جَمْعاً مِنَ الأَعْرَابِ يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِم ؛ وقدْ عَزَمُوا على غَزْوِ المدِينَةِ . فلمّا دَنا منهم هرَبوا وتَرَكُوا ماشِيَتَهُمْ فاستاقها المسلمون ، ورجَعُوا سالمين غانمين

غزوة بني المصطلق

وفيها غزوة بني الْمُصْطَلِق[2] ، وتسمى الْمُرَيْسِيعَ[3] أَيْضاً

خَرَجَ إليهمُ الرَّسولُ لِتَجْيِيشِهِمُ الجُيوشَ لِحَرْبِ المسْلِمين ، وهمْ مِمّنْ ساعدوا قُرَيْشاً يومَ أُحُدٍ . ولمّا علمُوا بخروج الرسول خافوا خَوْفاً شديداً ؛ وتفرَّقَ عنهُم منْ كانَ معَهُمْ من العَرَبِ ، فلمّا بلَغَ المسلمُون الْمُرَيْسِيعَ تَصافَّ الفريقانِ للقِتال فترَامَوْا بالنّبال ساعةً ؛ ثم حَمَلَ المسلمون عَليهم حَمْلة رَجُلٍ واحدٍ فأصابُوهم وَسبَوُا

(١) هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وتبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة

(٢) المصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو ، سمي به لحسن صوته ، وكان اول من غنى من خزاعة (٣) المريسيع : هو ماء لبني خزاعة

النّساءَ والرّجالَ والذُّرِّيّةَ والأَموالَ ، وقتلوا منهم عَشرَةً ، ولم يُقتَلْ منَ المسلمين إلاّ واحدٌ ؛ وأسَرُوا سائِرَهُمْ .

وكان فى الأسْرَى منْ نِساءِ الأَعْدَاءِ بَرَّةُ بِنْتُ الحارثِ سَيِّدِ القَوْمِ ، فَتَزَوَّجَهَا الرسُولُ ، وَسمّاها جُوَيْرِيَةَ وكان منْ قَوْمِها مِئَتا أسير وُزِّعُوا على المسلمين ، فلمّا تزوَّجها النّبيُّ قال المسلمونَ : أَصْهَارُ رَسول اللهِ لاَ ينْبغى أَسْرُهُمْ فى أيدِينَا ، فَمَنُّوا عليْهِمْ بالْعِتْقِ . وَإنّ فيما فَعَلهُ الرّسولُ منْ زَوَاجه بِنْتِ الحارثِ منْ حسْنِ السّياسَةِ ومُنْتَهَى الْكَرَمِ مالاَ يُدْرِكه إلاّ رَسُولُ اللهِ . وكان هذا الكَرمُ الْعظِيمُ سبَباً فى إسْلامِ بنِى الْمُصْطَلِقِ جَميعاً ، وصاروا أعْواناً للمسلمين بعْد أنْ كانوا أعْدَاءهمْ

غزوة الخندق

وفيها غزوة الخنْدَق ، وهىَ الأَحزابُ : اجتمَعَ طوَائفُ منْ مُشْرِكى قرَيْشٍ وغيرِهمْ منَ الْعَرَبِ وبَنُو النّضير منَ اليهود لحرْبِ المسلمين ، وعدَدهمْ عَشرَةُ آلافِ رجلٍ . وَيَرْأَس[1] الجميعَ أَبو سفيَانَ لأَنّه كان قَائدهمْ العَامّ ، أَمّا المسلمونَ فلم

(١) رأس يرأس من الباب الثانى فهو كضرب يضرب

يخرُجوا منَ المدينةِ ، بَلْ حفرَ الرَّسولُ خَنْدَقاً[1] ، عملاً باشارَةِ سَلمَانَ الفَارسيِّ ، حَذَراً منْ هجومِ الاعداء عليْهَا . وأمّا المشْركون واليهودُ فَحَاصَرُوا المدينةَ وضيّقُوا عليها شديدًا . واسْتَمَرَّ الحِصَارُ خَمْسةَ عشرَ يَوْماً .

وفى ذلكَ الوقْتِ نقَضَ بنو قرَيْظةَ اليهودُ العهودَ وتظاهرُوا ضدَّ المسلمين بالعداوَةِ . وكذلك المنافقون أبْرَزوا مَا تكِنُّهُ صدورُهمْ من النِّفاق ، فاشْتدّ عِند ذلكَ البْلاء وعظُمَ الخوفُ على المسلمين ؛ لأنَّ العدوَّ أتاهم من فَوْقهمْ ومنْ أسفَلِ منْهمْ حَتى زاغتِ الابصارُ وبلغت القلوبُ الحنَاجرَ ، وظنَّ المسلمون بالله الظّنون ، فأرْسلَ الرّسولُ عِند ذلكَ خمسَمائةِ مقاتلٍ لحراسةِ المدينَةِ خَوْفاً على النّساء والذّرارىّ

ولم يزالوا على هذهِ الحالِ إلى أنْ هرَبَ الأحزابُ المحاصرون منْ خوفٍ أصابهم[2] . وأراحَ اللهُ المسلمين منْ هذهِ النِّقمةِ

وفى هذهِ الغزْوةِ قتَلَ عليُّ بنَ أبى طَالبٍ عمْرو بنَ وُدٍّ العامرىَّ

(١) حفر من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهى الجهة التى كانت تؤتى المدينة من قبلها

(٢) وذلك ان الله سلط على الاعداء ريحا شديدة ليلا وجنوداً لم يروها فهبت ريح الصبا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى فهربوا من ليلتهم . وفى البخارى : « دعا رسول الله على الاحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم »

وقدْ أَقامَ المُسلمونَ في الخَنْدَقِ خمسةَ عشرَ يوْماً .

غزوة بنى قريظة

وفيها : غزوة بني قُرَيظة من يهود المدينة — خرجَ إليهمْ الرَّسولُ لِنقْضِهِمُ العَهْدَ وإظْهارِهِمُ العداوةَ يومَ الأَحزابِ ، ومعَهُ ثلاثةُ آلافٍ فحاصَرَهُمْ ، ثمَّ طلبُوا أَنْ يَمْنحَهمْ ما مَنحَ بَني النَّضيرِ فأَبَى ، ثمَّ نزَلوا على أنْ يحكُمَ فيهمْ سَعْدُ بْنُ مَعاذٍ ، فحكمَ فيهمْ بأنْ تُقتَلَ الرِّجالُ وتُقسَّمَ الاموالُ وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ والنِّساءُ ، فحُفِرَ لهمْ أُخْدودٌ[1] في سوقِ المدينَةِ ، وضُرِبَتْ أَعْناقُهمْ ، وكانوا ما بينَ سِتِّمائَةٍ إلى سبْعِمائَةٍ .

ابطال عادة التبنى

وفيها تزوَّجَ الرَّسولُ زَينبَ بنْتَ جَحْشٍ ابنةَ عمَّتِه بعدَ أنْ طلَّقَها موْلاهُ زَيدُ بنُ حارثةَ الذي كانَ الرَّسولُ قدْ تبنَّاهُ[2] . وقدْ أَمرَهُ اللهُ أنْ يتزَوَّجَها إبْطالاً لعادَةِ التَّبنِّي السَّيِّئَةِ ، لأَنَّ العَرَبَ كانَتْ تعتَبرُ المُتَّخَذَ ابْناً كابْنٍ حقيقيٍّ يَرِثُ ويُورَثُ إلى غيرِ ذَلكَ منْ أَحكامِ البُنُوَّةِ ، فأَرادَ اللهُ أنْ يُبْطِلَ هذهِ

(١) الاخدود هو شق مستطيل فى الارض (٢) أي اتخذه ابناً وكان زيد قبل ذلك رقيقاً .

العادة السيئة، فأمر رسوله أن يزوج زيدًا بزينب بنت جحش فزوجها منه، فلما دخل عليها وجد من كبريائها وعظمتها ما لم يقدر على تحمله، فشكاها إلى الرسول فأمره باحتمال الصبر فصبر، إلى أن ضاقت نفسه، فأخبره بالعزم على طلاقها، ولما كانت المعاشرة بين مثل هذين الزوجين لا تأتي بغير النفور أمر الله الرسول بأن يتزوج زينب بعد طلاقها دفعًا للنزاع والشقاق وإبطالًا لعادة التبني؛ لأن العرب كانوا يحرمون مثل هذا الزواج، لاعتبارهم إياه نكاح الأب لمطلقة ابنه، فخشي الرسول أن يعيره العرب فيقولون: تزوج محمد مطلقة ابنه، فكان يخفي في نفسه هذا الأمر وهو يعلم أنه لابد حاصل لإبطال هذه العادة القبيحة، وقد كان الأمر كذلك بعد زواج النبي بزينب، فقد صار زيد يدعى زيد بن حارثة بعد أن كان يدعى زيد بن محمد، وأنزل الله في ذلك: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين؛ وكان الله بكل أمر عليمًا»

وأما ما يرويه في هذا المقام بعض من لا خلاق لهم من أن الرسول رأى زينب اتفاقًا فوقعت في قلبه. فلما علم زيد بذلك

استشارَ الرسول فى طلاقها رغبةً فى أنْ يتزوّجها الرسولُ ، فهو من الأقوال الساقطة التى لا يرويها إلاّ مَنْ فقدَ رُشدَه وأضاعَ عقلَه . ونعوذُ بالله من ذلك . وقد أبطلَ هذا الزعمَ أدلّتا العقلِ والنقلِ ، ومَنْ أرادَ الزيادةَ فليرجعْ إلى كتاب الشفاء للقاضى عياض ، أوْ إلى رسالةٍ كتبها فى هذا الموضوع شيخُنا الأستاذُ الإمامُ المرحومُ الشيخ محمّد عبدُهُ مفتى الديار المصرية[١] على أنَّ كلمةً واحدةً تكفى لردّ هذا الزعم ، وهو أنَّ النساءَ لمْ تكُنْ محجُوبةً فى زمن الرسول ، فكأنّهُ لمْ يرَها قبلَ ذلكَ اليوم ، أوْ كأنّهُ لمْ يستطعْ أنْ يتزوّجها قبلَ أنْ يُزوِّجها منْ مولاهُ[٢] زيدِ بنِ حارثةَ ! إنَّ هذا لشىءٌ عُجاب !!!

آية الحجاب

وفى هذهِ السنةِ : نزلتْ آيةُ الحجاب ، وهو خاصٌّ بنساء النبىّ ، ثمّ رأى جمهورُ علماء الأمةِ أنْ يعمَّ غيرَهُنّ أيضاً عندَ ما رأوا الحاجةَ ماسةً إلى ذلك .

(١) وهذه الرسالة مطبوعة على حدة مع تفسير الفاتحة للأستاذ الإمام (٢) المولى العبد الرقيق . ويكون أيضا فى غير هذا الموضع بمعنى السيد . قال الشاعر :

وهل يستوى سادة وعبيدهم   على أن أسماء الجميع موالى

فريضة الحج

وفيها: فُرِضَ الحَجُّ على مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا، وإنَّ فيهِ مِنَ الحِكَمِ ما لاَ يَدْرِيهِ إلاَّ ذُو بَصِيرَةٍ، ويكفي مِنْ ذلكَ اجتماعُ المسلمينَ على اختلافِ الأجناسِ واللغاتِ والبلادِ في مَحَلٍّ واحِدٍ ليُجَدِّدُوا عُهودَ الإخاءِ والولاءِ، ويَدْعُوا اللهَ عزَّ وجَلَّ أنْ يُؤَيِّدَهُمْ بنَصرِهِ، ويُمَكِّنَ قواعِدَ الأُلفةِ بينَهُمْ، ولاَ يَخْفَى ما في ذلكَ مِنَ الفوائِدِ السِّياسِيَّةِ والدِّينِيَّةِ الجَلِيلَةِ الَّتي تَعودُ على الأُمَّةِ بالخيرِ العَميمِ، إنْ فُهِمَ السِّرُّ مِنْ هذا الاجتماعِ العظيمِ

السنة السادسة

غزوة بني لحيان

فيها: غزوة بني لَحْيَانَ — الذينَ قَتَلوا عاصِمَ بْنَ ثابت وإخْوَانَهُ غَدْرًا[1]: خَرَجَ الرَّسُولُ إلَيهِمْ بِمائَتَيْ رَاكِبٍ. فلَمْ يَلْقَ أَحَدًا

(١) كان الرسول قد ارسل عشرة رجال برآسة عاصم المذكور مع رهط من عضل والقارة ليفقهوهم وقومهم في الدين فغدروا بهم وحرضوا عليهم بني هذيل فقتلوا منهم ثمانية وباعوا الاثنين لاهل مكة فقتلوهما ايضاً

غزوة الغابة

وفيها : غزوة الغابة — خَرَجَ إليها الرَّسولُ فى خمسمائةِ رَجلٍ فى طَلبِ عُيَيْنَةَ بنِ حِصنٍ وأربعينَ فرساً معهُ ، لأنَّهم أغارُوا على لِقاحِ[1] الرَّسُولِ وسلبُوها وقتلوا ابنَ أبى ذرٍّ ، فكانَ بينَ الفريقينِ مُناوَشاتٌ قُتِلَ فيها مُسلمٌ ومشركانِ . واستنقذوا عشرَ لِقاحٍ . ثمَّ رَجعُوا .

وكانَ الرَّسُولُ قدْ منَّ على عُيَيْنَةَ هذا وأعطاهُ أرضاً ليرْعَى فيهَا بَهْمَهُ[2] فكفرَ النعمةَ . ثمَّ إنهُ لمْ يكفِهِ أنْ كانَ معَ الأحزابِ يومَ الخندقِ ، بلْ زادَ على ذلكَ سَلْبَهُ لِقاحَ الرَّسولِ .

غزوة الحديبية

وفيها : غزوة الحُدَيْبيةِ[3] — خَرَجَ الرَّسولُ مُعْتَمِراً فى ألفٍ وأربعمائةِ رَجلٍ بلا سلاحٍ إلاَّ سلاحَ المُسافِرِ ، وهىَ السُّيوفُ فى الأغمادِ ، فلمَّا علمتْ قُرَيشٌ جمعتِ الجموعَ لتَصدَّهُ عنِ البيتِ الحرامِ .

(١) اللقاح جمع لقحة وهى النياق ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة (٢) البهم بفتح اوله وبالتحريك أولاد الغنم والمعز والبقر (٣) هى بئر على مرحلة من مكة كما فى البخارى وشرحه

فلما كان الرسول وأصحابه بغدير الأشطاط بلغه ذلك، فقال أشيروا أيها الناس علي: أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله.

فلما كانوا بثنية المرار بركت ناقة الرسول، فزجروها فلم تقم. فقالوا خلأت القصواء[1] أي حرنت، فقال الرسول ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية.

ثم حصل الصلح بين الفريقين، وهو الصلح المعروف بصلح الحديبية، ولم تكن حرب، مع أن المسلمين لو قاوموا أعداءهم في ذلك الوقت لظفروا بهم، ولكنهم حافظوا على حرمات البيت الذي جعله الله حرمًا آمنًا.

(١) اسم ناقة الرسول. والقصواء في الأصل من الشاء والنوق: التي قطع طرف أذنها.

وكانَ الصُّلْحُ (١) على أنْ تُوضَعَ الحرْبُ بيْنهم عشرَ سنَوَاتٍ وقيلَ أرْبَعاً (٢) وأَنْ يأمَنَ بعضهمْ بعْضاً (٣) وأنْ يَرْجِعَ عنهم عامَهمْ هذا (٤) وعلى أنهُ لاَ يأتيهِ منهمْ رَجلٌ وإنْ كانَ على دِينِ الإسلامِ إلاَّ رَدّهُ إليهمْ ، وأنْ لاَ يرُدُّوا إليهِ مَنْ جاءَهمْ مِنْ عِنْدِهِ (٥) ومنْ أَرَادَ أنْ يدْخلَ في عَهْدِ محمّدٍ منْ غيرِ قُرَيْشٍ دَخلَ فيهِ ، ومَنْ أرَادَ الدُّخولَ في عَهْدِ قُرَيْشٍ دَخلَ فيهِ

بيعة الرضوان

وفي هذهِ الغزاةِ حَصلتْ بيعَةُ الرُّضْوَانِ ، وذلكَ أنَّ الرّسولَ كَتَبَ صُلْحَ الْحُدَيْبيَةِ في كتَابٍ وأرْسلَهُ إليهمْ مَعَ عثمانَ بْنِ عفّانَ وجماعَةٍ منَ المُسْلمينَ . فأمْسكَ المشْركونَ عثمانَ عِنْدهمْ فَشَاعَ أنهُ قُتلَ . فدَعا الرّسولُ النّاسَ إلى الْبيعَةِ تحتَ الشّجَرَةِ على الموتِ ، وقيلَ على أنْ لاَ يفرُّوا ، وهي الشّجَرَةُ المَعْرُوفة بشَجَرَةِ الرُّضوَانِ (١) . فلمّا عَلِمتْ قُرَيْشٌ بذلك خافوا وبعثوا بعثمانَ ورُفقَائهِ .

(١) قطع هذه الشجرة بعد ذلك عمر بن الخطاب في أيام خلافته لما رأى بعض المسلمين قد خصها بالصلاة تحتها ، وقال لهم : أراكم قد رجعتم الى وثنيتكم الأولى ، وقد أحسن بهذا العمل قطعاً لعرق الوثنية . ولو كان في أيامنا ورأى كثيرا من امثالها كان يفعل .

وفى هذه البيعة نزل قوله تعالى : « إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة »

وفى هذه الغزوة نزلت سورة الفتح وهو قوله تعالى : « إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » السورة ، فتسلى المسلمون بذلك بعد أن ضايقتهم شروط الحديبية الجائرة، وعلموا أنها مقدّمة لفتح مكة، وأنهم لابدّ أن يدخلوها آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصّرين لا يخافون . قال ابن عباس : الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح .

مراسلته عليه السلام للملوك

وفى هذه السنة : بعد رجوع المسلمين من الحديبية ، راسل عليه السّلام الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، واتخذ خاتماً من فضة فيه « محمد رسول الله »

فمنها كتاب إلى قيصر ملك الروم ، وكتاب إلى أمير بصرى ، وكتاب إلى أمير دمشق من قبل هرقل ، واسمه الحارث بن أبى شمر الغسّانى ، وكان يقيم بغوطتها ، وكتاب

إلى المقوقس أمير مصر من قبل قيصر، وكتاب إلى النجاشي [١] وكتاب إلى كسرى ملك الفرس. فلما أخذه هذا مزقه استكبارًا، وكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم وكتاب إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عمان فأسلما، وكتاب إلى هوذة بن علي ملك اليمامة.

أما كتابه إلى قيصر فقد جاء فيه قوله:

« بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين [٢] فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين [٣]، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ».

فلما وصل الكتاب إلى قيصر قال: انظروا لنا من قومه

(١) النجاشي لقب لمن يملك الحبشة كقيصر لمن يملك الروم وخاقان لمن يملك الترك. ويجوز ان تشدد ياء النجاشي وتخفيفها افصح. (٢) مرة لايمانه بالنصرانية وكتابها ومرة لايمانه بالاسلام وكتابه. (٣) الاريسيون: جمع اريسي وهو الفلاح أي ان توليت عما ادعوك اليه فعليك ذنب اتباعك من الفلاحين لانهم مطيعون لك فيما تأمرهم به.

أحداً نسألهُ عنهُ ، وكانَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ (قبلَ إسلامِهِ) بالشّام معَ رجالٍ منَ المشركينَ في تجارةٍ ، فجاءوا بهِ وبأصحابهِ ، فسألهُ قيصرُ عن النبيِّ وعنْ أوصافٍ هيَ فيهِ منْ صفاتِ النّبوّةِ ، فأجابهُ بأنّهُ متّصفٌ بها كلّها ، فقالَ له قيصرُ :

« فإنْ كانَ ما تقولُ حقًّا فسيملكُ موضعَ قدَمَيَّ هاتينِ ، وقدْ كنتُ أعلمُ أنهُ خارجٌ ، ولكنْ لمْ أكنْ أظنُّ أنه منكم فلوْ أعلمُ أنّي أخلصُ إليهِ لتجشّمتُ لقاءَهُ ، ولوْ كنتُ عندَهُ لغسلتُ عنْ قدَمِهِ » .

السنة السابعة

غزوة خيبر

فيها غزوة خيبرَ : (وهيَ مدينةٌ ذاتُ حُصونٍ ومزارعَ تبعُدُ ثمانيةَ بُرُدٍ (١) عن المدينةِ إلى جهةِ الشّامِ ، وكانتْ حصونها ثلاثةً منفصلةً عن بعضِها ، وسكّانُها بنو النّضيرِ منَ الّذينَ كانوا أعظمَ مهيّجٍ للأحزابِ يومَ الخندقِ) خرجَ الرّسولُ

(١) البرد جمع بريد والبريد اثنا عشر ميلاً ، والميل من الارض منتهى مد البصر .

فى مُحَرَّمٍ هذهِ السَّنَةِ ، ومعَهُ أَلْفٌ وستُّمائةِ رَجلٍ ، فسارَ حتَّى أَتى خَيْبَرَ لَيْلاً ، وكانَ إذا جاءَ قوْماً بليلٍ لمْ يَغزُهمْ حتَّى يُصبحَ ، ثمَّ حاصَرَهمُ المسلمون ستةَ أيامٍ فلمْ ينْجحُوا .

فلما كانَتِ اللَّيلةُ السَّابعَةُ وهيَ لَيلةُ الفتحِ قالَ الرَّسولُ : لأُعطيَنَّ الرَّايةَ غداً رَجلاً يُحبُّه اللهُ ورَسولُه يَفتحُ اللهُ على يدَيْهِ فلما كانَ الصَّباحُ أَعطاها عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه ، وكان يشتكى وَجعَ عينَيهِ ، فتفلَ الرَّسولُ فيهما ودَعا لهُ فبَرَأَ بإذْنِ اللهِ ، فتوَجَّهَ عليٌّ معَ المسلمينَ للقِتالِ ، وشَدَّدَ الحِصارَ على الحُصونِ إلى أنْ فتحهَا اللهُ على يدِهِ ، بعْدَ أنْ دَافعَ عنها أصحابُها دِفاعاً شَديداً أَحبُّوا معَهُ الموْتَ ، وغنِمَ المُسلمونَ منها غنَائِمَ عظيمةً ، ومِمَّا يُنقَلُ أنَّ عَليًّا رضيَ اللهُ عنْه عالَجَ بابَ خَيْبَرَ واقتلَعهُ وَجعَلَه تُرْساً .

حوادث

وفى هذهِ السنةِ بعْدَ خيْبرَ رَجعَ مُهاجرُو الحَبشةِ ومعَهمُ الأَشعَريُّونَ أبو موسى وقومُه الذينَ كانوا معَهم ، وذلكَ بعدَ أنْ أقامُوا عَشرَ سِنينَ .

وفيها : فُتِحَتْ فَدَكُ[١] ، وصالَحَهُ أهلُها وكانوا يهوداً على أنْ يَترُكُوا الأموالَ وَيحقُنَ[٢] دِماءَهمْ .

وفيها: صالَحَ أهلَ تَيماءَ[٣] على دَفْعِ الجِزْيَةِ ، وكانوا من اليهودِ .

غزوة وادى القرى

وفيها : غَزوة وادِي القُرَى[٤] دَعَا الرَّسولُ أهلَهَا إلَى الاسْتِسلامِ فأبَوْا ، وقاتلوا المسلمينَ فقاتلوهمْ ، وغَنِموا منهم كَثيراً

وَبانْقيادِ اليهودِ المجاورِينَ للمدينَةِ أمِنَ المسلمونَ منْ أعْداءٍ كَانوا يُثيرُونَ الحقودَ وَيَهيجُونَ الشُّرورَ لِيَضْرِمُوا نِيرَانَ الحُروبِ .

عمرة القضاء

وفيها : عُمْرَةُ القَضَاءِ — وذلكَ أنَّهُ لمَّا أهلَّ ذو القَعْدَةِ أمَرَ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ أنْ يَعتَمِرُوا قَضَاءً لِعُمْرَتِهِمُ[٥] الَّتى صدَّهُمُ المشركونَ عنهَا يومَ الحُدَيْبيَةِ ، وأنْ لاَ يَتَخلَّفَ أَحدٌ ممَّنْ شَهِدَ الحُدَيْبيَةَ ، فلَمْ يَتَخلَّفْ أحدٌ إلاّ رِجَالٌ اُستُشْهِدوا بِخَيْبَرَ ورِجالٌ مَاتُوا .

(١) فدك حصن قريب من خيبر يبعد ست ليال عن المدينة (٢) يحقن دماءهم أى يمنعها ان تسفك أى لايقتلهم (٣) هى قرية على ثمان مراحل من المدينة (٤) هو قرى بين خيبر والشام (٥) العمرة من أعمال الحج

ثمَّ سارَ المُسلِمونَ حتّى وصلوا إلى مَرِّ الظَّهرانِ[1] . فَعلمتْ قُرَيشٌ بذَلكَ فخافُوا ، فأرْسلوا فِتياناً منهمْ إلى الرَّسولِ ، فقالوا : يا محمَّدُ ما عُرِفتَ بالغَدرِ صغيراً ولا كبيراً ، وإنّا لمْ نُحدِثْ حَدَثاً ، فأخبرَهمْ أنهُ يُريدُ العُمْرَةَ لاقتالهمْ

ولمّا قَرُبَ المسلمونَ منْ مكةَ خَرَجَ المُشرِكونَ منها إلى رُؤوسِ الجِبالِ كَراهيةَ أنْ يَرَوُا المسلمينَ يَطوفونَ بالبَيْتِ الحَرامِ .

ثمَّ رَجَعَ الرَّسولُ والمسْلمونَ بَعدَ أنْ أقامُوا في مَكَّةَ ثلاثةَ أيامٍ .

حوادث

وفي هذهِ السَّنةِ : أَسلَمَ خالِدُ بنُ الوليدِ وعَمْرُو بنُ العاصِ وعُثمانُ بنُ أبي طَلحةَ بَعدَ أنْ كانوا قادةَ الجيوشِ ضِدَّ المسلمين .

وفيها : تزَوَّجَ عليهِ السّلامُ صَفيّةَ بنْتَ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ سيِّدِ بَني النَّضيرِ ، وكانتْ في السَّبيِ يومَ خَيبرَ .

وفيها : تزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بنْتَ الحارثِ زَوْجَ عمِّهِ حَمزةَ شهيدِ أُحُدٍ ، وهيَ آخرُ نِسائهِ زَواجاً .

(١) هو موضع على مرحلة من مكة

السنة الثامنة

واقعة مؤتة

فيهَا واقِعةُ مُؤْتَةَ (وهِيَ مِنْ عَمَلِ البَلْقَاءِ بالشَّامِ) وكانَ قَدْ قُتِلَ فِيهَا الرَّسولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ عليهِ السَّلامُ إلَى مِيرِ بُصْرَى ، فَفِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَـذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ الرَّسولُ جَيْشاً للقِصاصِ مِمَّنْ قَتَلوهُ ، وكانَ عدَدُه ثلاثَةَ آلافِ رَجُلٍ ، وأَمَّرَ عليهِمْ زَيْدَ بْنَ حارِثةَ ، وقالَ لهمْ : إنْ قُتِلَ زَيْدٌ فالأَمِيرُ جَعفرٌ وإنْ قُتِلَ جَعفرٌ فَعبدُ اللهِ بْنُ رُوَاحَةَ ، ثمَّ أَوْصَاهمْ بوَصَايَا مِنْهَا : أَنَّهُمْ سَيَجِدُونَ رِجالًا حَبَسُوا أَنفُسَهمْ فِي الصَّوَامِعِ فلاَ يَتَعرَّضوا لهمْ ، وَلاَ يَقتلوا امْرأةً ولاَ صَغيرًا ولاَ فانِياً ، وَلاَ يَقطَعُوا شَجَرًا .

ثمَّ سارَ زَيْدٌ بالجَيْشِ حتَّى وَصلوا إلَى مُؤْتَةَ ، فوَجَدُوا الرُّومَ مُجَمَّعِينَ لهمْ قَرِيباً مِنْ مائةٍ وخَمْسِينَ أَلْفَ مُقاتِلٍ ، ومعَهُمْ مِنَ العُدَدِ والذَّخائِرِ مَالاَ قِبَلَ لأَحدٍ بِهِ ، فقَاتَلوهُمْ وقاتَلَ زَيْدٌ حتَّى قُتِلَ ، فأَخَذَ الرَّايةَ جعفرُ بْنُ أَبِي طالِبٍ ، فقَاتَلَ حتَّى قُطِعَتْ يَمِينُهُ ، فأَخذَهَا بشِمالِه فقُطِعتْ فاحْتَضَنَها فقُتِل ، فأَخَذَهَا

عَبْدُ اللهِ فقُتِلَ ، وعِنْدَ ذلِكَ كادَ المسلمونَ يَنْكَسِرُونَ لوْلا أَنْ أَمَّرُوا عليهمْ الشَّهْمَ الهُمَامَ الْباسِلَ خالدَ بنَ الوَلِيد ، فقاتَلَ الأَعداءَ حتَّى قتلَ منهمْ مَقْتَلةً عظيمةً وأصابَ غَنيمةً . وخلَّصَ هذا الجيْشَ القَليلَ منْ مَخَالِبِ الأَعْدَاءِ الَّتى لا تُحْصَى بمَكايِدِهِ الحرْبيةِ .

ثمَّ رَجعُوا إلى المدِينةِ وقدْ أثْنى النَّبيُّ على خالدٍ .

ويُرْوَى أَنَّ يَعلَى بْنَ أُمَيَّةَ قَدِمَ بِخَبَرِ أَهالِ مُؤْتَةَ ، فقال له الرَّسولُ : إنْ شِئْتَ فأَخبِرْنى وإنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ . فقال : أَخْبِرْنِى يا رَسولَ اللهِ ، فأَخبَرَهُ خَبَرَهمْ ، فقالَ : والَّذِى بعثَكَ بالحقِّ ، ما تَرَكْتَ منْ حَدِيثِهمْ حرْفاً لمْ تذْكُرْهُ .

فتح مكة

وفيها : غزوةُ الفَتْحِ الأَعظَمِ فَتْحِ مكَّةَ ، وذلكَ أَن قُرَيْشاً نَقَضتْ شَرْطاً منْ شُرُوطِ الحُدَيْبيةِ ، لأَنَّهمْ أَعانوا بَكراً الَّتى دَخلَتْ فى عَهْدِهِمْ على خُزاعةَ الَّتى دَخلَتْ فى عَهْدِ الرَّسول ، وذلكَ أَنَّ رَجلاً خُزاعيًّا ضَرَبَ بَكْرِيًّا لأَنَّهُ سَمِعَهُ يَهْجُو رسولَ اللهِ ، فَعَزَمَ بَنُو بَكْرٍ على مُحارَبةِ خُزاعةَ ، وَطَلَبُوا النَّجْدَةَ منْ قُرَيْشٍ ، فأعانوهُمْ سِرًّا ، ودَهَمُوا خُزاعةَ على حِينِ

غَفْلةٍ ، فقتلوا منهم ما يَزِيدُ على العشرين ، فلما أعلموا الرَّسولَ بذلكَ قالَ لا منعنكم مما أمنعُ منهُ نفسى .

ثمَّ إنَّ قُرَيْشاً ندمتْ على ما فعلَتْ حينَ لاَ ينفعُها النَّدمُ . فأرسلوا أبا سُفيانَ بنَ حربٍ إلى المدينةِ ليُجدِّدَ عهدَ الحُدَيْبيةِ ويزيدَ فى المدَّةِ ، فأتى النبيَّ فى المسجدِ وعرَضَ عليهِ ما جاءَ لأجلِهِ فقالَ الرَّسُولُ : هلْ كانَ منْ حدَثٍ ؟ قال : لا ، فقالَ فنحنُ على مُدَّتِنا وصلْحِنا ، ولمْ يزدْ على ذلكَ ، فرَجَعَ أبو سفيانَ بخُفَّىْ حُنَيْن[1] .

أمَّا الرَّسُولُ فإنَّهُ تجهَّزَ للسفَرِ ، وبعثَ إلى منْ حوْلَهُ منَ العربِ ، وهمْ أسلمُ وغفارٌ ومُزَيْنةُ وجُهَيْنةُ وأشجعُ وسُلَيْمٌ ، وطوَى الأخبارَ عنِ الجيشِ كيلاَ تعلمُ قريشٌ .

ثمَّ سارَ بالجيشِ وكانَ عشرةَ آلافِ مُجاهِدٍ ، وذلكَ فى رمضانَ .

ولقيهُ فى الطَّريقِ عمُّهُ العبَّاسُ ، وكانَ قدْ خرَجَ بأهلِهِ مُسلِماً ، ولقيهُ أيضاً أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ابنُ عمِّ الرَّسولِ وأخوهُ منْ رضاعِ حليمةَ ، ومعهُ ولدُه جعفرٌ فأسلَمَا ، وفى الطَّريقِ أيضاً أسلمَ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ ، وكانَ

(١) مثل يضرب للخائب

قدْ جاءَ يَتَجَسَّسُ أخبارَ رسولِ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلم ، فأسَرَهُ حارسُ جَيشِ المسلمينَ.

وجاء في صحيح البُخَاريّ « أنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلمَ لمّا سارَ عامَ الفَتحِ فَبلَغَ ذلكَ قُرَيشاً خَرَجَ أبو سُفيانَ وحكيمُ ابنُ حِزامٍ وبُدَيلُ بنُ وَرْقاءَ يَلتمسُونَ الخبرَ عنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأقبلوا يسيرُونَ حتى أتَوْا مَرَّ الظَّهرانِ[1] فإذاهمْ بنيرانٍ كأنّها نيرانُ عَرَفةَ ، فقالَ أبو سُفيانَ : ما هذهِ النّيرانُ ؟ لكأنّها نيرانُ عرفةَ ، فقالَ بُدَيلُ بنُ ورْقاءَ : نيرانُ بَني عَمْرٍو ، فقالَ أبو سفيانَ : عمْرٌو أقلُّ منْ ذلكَ ، فرآهمْ ناسٌ منْ حَرَسِ رسولِ اللهِ فأدرَكوهُمْ فأخذوهُمْ فأتَوْا بهمْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأسلمَ أبو سُفيانَ . فلمّا سارَ قالَ للعبّاسِ : احبِسْ أبا سفيانَ عندَ حطمِ[2] الخيلِ حتى يَنظُرَ إلى المسلمينَ ، فحَبَسَهُ العبّاسُ ، فجَعلَتِ القبائلُ تمرُّ مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم كَتيبةً كَتيبةً[3] على أبي سفيانَ ، فمرّتْ كَتيبةٌ قالَ : يا عبّاسُ مَنْ هذهِ ؟ قالَ : هذهِ غِفارٌ ، قال : مالي ولِغِفارٍ ، ثمّ مرّتْ كَتيبةٌ

(١) مر الظهران : واد قرب مكة (٢) أى فى الموضع المتضايق الذى تحطم فيه الخيل أى يدوس بعضها بعضا ويزحم بعضها بعضا فيراها جميعها وتكثر فى عينه بمرورها فى ذلك الموضع الضيق (٣) الكتيبة الجيش اوجماعة الخيل من المائة الى الالف

جُهَيْنَةَ فقَالَ مثلَ ذلكَ ، ثمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بنُ هُذَيمٍ فقالَ مثلَ ذلكَ ، ثمَّ مَرَّتْ سُلَيْمٌ فقال مثلَ ذلكَ ، حَتى أَقْبلَتْ كَتيبَةٌ لمْ يَرَ مِثْلَها ، قالَ : مَنْ هذهِ ؟ قال : هؤلاءِ الأَنْصَارُ علَيهم سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ معَهُ الرَّايةُ ، فقال سَعدُ بْنُ عُبَادَةَ : يا أَبا سفْيَان ، الْيومَ يومُ الْمَلْحَمةِ ، الْيومَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ، فقالَ أبو سفْيان : ياعبَّاسُ حَبذَا يوْمُ الذِّمارِ ، ثمَّ جاءَتْ كَتِيبَةٌ وهيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ ، فيهمْ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم وأصْحابُه ورَايةُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فلمَّا مَرَّ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلم بأبي سفيانَ قالَ : أَلمْ تَعلمْ ما قالَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ ؟ قالَ : ما قال ؟ قال : قال : كذَا وكذا ، فقال : كَذَبَ سَعْدٌ ، ولَكنَّ هذا يوْمٌ يُعظِّمُ اللهُ فيهِ الْكَعْبَةَ ويَوْمٌ تُكْسَى فيهِ الْكَعْبَةُ » .

ثمَّ سارَ الرّسولُ ومنْ معَه وأَرْسَلَ خالدَ بْنَ الوَليدِ بمَنْ معَهُ ليَدْخلَ مَكَّةَ منْ أَعلاهَا ، وأَمرَهُ أنْ لاَ يقَاتلَ إلاَّ مَنْ قَاتلَهُ ، ودَخلَ الرَّسولُ منْ أسفَلِهَا ، فَانْدفَعَ خَالدٌ فَصدَّهُ رجَالٌ منْ قُرَيْشٍ ، فقَاتلَهمْ وهزَمهمْ .

ثمَّ أَمَّنَ الرَّسولُ أهلَ مَكَّةَ ونادَى مُنَادٍ بأمْرِ الرَّسولِ :

مَنْ دخلَ المَسْجِدَ فهوَ آمِنٌ ، ومَنْ دخَلَ دارَ أَبي سُفيانَ فهوَ آمنٌ ، ومَنْ أغلَقَ عليْهِ بابَهُ فهو آمنٌ ؛ إلاّ أشْخاصاً أَهْدرَ دَمَهمْ لمَساوئهمُ التي لا تُحْصَى . فمِنْهم كَعْبُ بنُ زُهيرٍ وعِكْرمَةُ ابنُ أَبي جهْلٍ ، وصفْوانُ بنُ أُميَّةَ ، وعبدُ اللهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبي سَرْحٍ الّذي كانَ كاتِبَ الْوَحْيِ ثمَّ ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلامِ وافْترَى الْكَذِبَ على الرّسولِ ، ومِنْهمْ وحْشِيٌّ قاتِلُ حَمزَةَ ، وهِنْدٌ بِنْتُ عُتْبةَ زَوْجُ أبي سُفْيانَ .

وفي الْبخاريّ : « دَخلَ النّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم مكّةَ يوْمَ الْفَتْحِ وحوْلَ الْكَعْبَةِ سِتّونَ وثلاثمائةِ نُصُبٍ (صَنَم) فجعلَ يَطعُنُهَا بِعودٍ في يَدِهِ ويَقولُ : جاءَ الْحقُّ وزَهقَ الْباطِلُ ، جاءَ الْحقُّ وما يُبْدِئُ الْباطِلُ وما يُعيدُ » .

ثمَّ أَمرَ بالآلهةِ فأُخرِجَتْ منَ الْبيتِ وفيها صورَتَا إبراهيمَ وإسْماعيلَ ، وبذلكَ طهرَ اللهُ الْكعْبةَ الْبيتَ الْحَرَامَ منْ هذِهِ المَعْبوداتِ الْباطِلَةِ ، واسْتبدَلَ بِهَا عبادَةَ اللهِ تعالى وحْدَهُ ، ثم دَخلَ الْكعبةَ وكبّرَ في نواحيها ، ثمّ خرَجَ إلى مَقامِ إبراهيمَ وصلّى فيهِ ، ثمَّ شَرِبَ منْ ماءِ زَمْزَمَ .

ثمَّ جلَسَ في المَسْجِدِ والأَبْصارُ خاشِعةٌ إليهِ لِترَى ما هُوَ

فاعِلٌ بمُشْرِكى مكة أعدائِه الّذينَ آذَوْهُ وأخرجوهُ منْ بلادِه وهمُّوا بقتْلِه مرارًا وقاتلوهُ ، ثمَّ قامَ بهمْ خطيبًا فحمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ومجّدَهُ بما هُوَ أهلُهُ . ثمّ قال : « أيُّها النّاسُ إنّ اللهَ حرَّمَ مكةَ يومَ خلقَ السمٰواتِ والأرضَ ، فهيَ حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامَةِ ، فلا يحِلُّ لامْرِئٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يسفِكَ بها دمًا ، أوْ يعْضِدَ (يقطع) بها شجرَةً ، فإنْ أحدٌ ترخّصَ فيها لقِتالِ رسولِ اللهِ فقولوا : إنّ اللهَ قدْ أذِنَ لرسولِه ولمْ يأذَنْ لكمْ ، وإنّما أُحِلّتْ لي ساعةً منْ نهارٍ ، وقدْ عادتْ حُرْمتُها اليومَ كحُرْمتِها بالأمسِ ، فليُبلِّغِ الشاهِدُ الغائِبَ » .

ثمّ قال :

« يا معشرَ قُرَيْشٍ ، ما ترَوْنَ أنّى فاعِلٌ بكمْ ؟ قالوا : خيرًا ، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ . قال اذهبُوا فأنتمُ الطُّلَقَاءُ » أى الذينَ أُطلِقوا فلمْ يُسترَقُّوا ولمْ يؤسَرُوا .

ثمَّ ابتدأَ النّاسُ يُبايِعُونَ رسولَ اللهِ على الإسلامِ ، وممّنْ أسلمَ فى ذلكَ اليومِ مُعاوِيةُ بنُ أبى سُفيانَ ، وأبو قُحافَةَ والدُ أبى بكرٍ الصدّيقِ ، وجاءهُ رجلٌ يرتعِدُ خوفًا فقال له : «هوِّنْ

عليك فإني لستُ بملِكٍ ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريشٍ كانت تأكل القديد » .

ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء ، وكن يبايعنه على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف .

ثم أمر بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة فأذن .

ثم أرسل عليه السلام السرايا لهدم أصنام القبائل ، فهدمت العزى ، وهي أعظم صنم لقريش في نخلة ، ثم هدمت سواع ، وهو صنم كبير لهذيل على ثلاثة أميال من مكة ، ثم هدمت مناة ، وهو صنم لكلب وخزاعة في المشلل (١) .

أما الذين أهدر دمهم الرسول فمنهم من قتل ومنهم من عزت عليه الحيل وضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى جعل الله له مخرجاً فأسلم ، ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبار بن الأسود ، وصفوان بن أمية ، وأسلم الحارث بن هشام وزهير ابن أبي أمية المخزومي بعد أن أجارتهما أم هانىء بنت أبي

(١) هو جبل على ساحل البحر يهبط عنه الى قديد .

طالب ، فأجازَ الرسولُ جوارَها وقال: إنّا قدْ أجرْنا مَنْ أجرْتِ يا أُمَّ هانىء ، وأسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سعْدِ بن أبي سَرْحٍ ، وقدْ أعرَضَ عنهُ الرَّسولُ مرارًا لخيانَتِهِ وعدَمِ ثباتِهِ على مبْدَئِهِ وكذبِهِ على اللهِ ورسولِهِ ، وأسلمتْ هندٌ زوْجُ أبي سُفيانَ ، وأسلمَ كَعبُ بنُ زُهيرٍ ، وأنشدَهُ قصيدتَهُ التي يقولُ في مطْلعِها :

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ   مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

ومنها في مدحه عليهِ السلامُ :

إنَّ الرَّسولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضاءُ بهِ

مُهَنَّدٌ منْ سُيوفِ اللهِ مَسْلولُ

ولمّا قال هذا البيت خلَعَ الرّسولُ عليهِ بُردَتَهُ، ولذا تسمّى هذه القصيدةُ بقصيدةِ البُرْدَة[1] .

قصة وحشي قاتل حمزة

وأمّا وحشيٌّ قاتِلُ حمزَةَ الذي أهدَرَ الرسولُ دمَهُ مَعَ مَنْ أهدَرَ فكانَ منْ حديثِهِ ما رَواهُ البخاري : « قالَ وحشيٌّ بعدَ أنْ حكى مَقتَلَ حمزَةَ ، فلمّا رَجعَ النّاسُ رجعْتُ معهمْ ، فأقمْتُ بمكّةَ حتى فشَا فيها الإسلامُ ، ثمّ خرجْتُ إلى الطّائفِ فأرْسلوا

(١) وقد اشترى معاوية بن أبي سفيان أيام خلافته هذه البردة من أبناء كعب ثم صار يتوارثها الملوك والخلفاء حتى وقعت للترك من ملوك بني عثمان .

إلى رَسول اللهِ صلى الله عليه وسلم رَسولاً فقيل لى: إنه لا يَهيجُ الرُّسُلَ (أى لا ينالهم منهُ مكروهٌ) قال: فخرَجتُ معهم حتى قَدِمتُ على رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رآنى قال: أنتَ وحشىٌّ؟ قلتُ: نعم، قال: أنتَ قتلتَ حمزةَ؟ قلتُ: قد كانَ منَ الأمرِ ما قد بلغَكَ، قال: فهلْ تستطيعُ أنْ تُغيِّبَ وجهَكَ عنّى؟ قال: فخرجتُ. فلمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فخرجَ مُسيلمةُ الكذّابُ، فقلتُ لأخرُجَنّ إلى مُسيلمةَ لعلّى أقتُلهُ فأُكافِئَ بهِ حمزةَ. قالَ: فخرجتُ معَ النّاس فكانَ منْ أمرِهِ ما كانَ، فإذا هوَ رجلٌ قائمٌ فى ثلْمةِ[1] جدارٍ كأنهُ جملٌ أورَقُ[2]، ثائرَ الرأس، فرميتُهُ بحربتى فأضعُها بينَ ثديَيهِ حتى خرجتْ منْ بينَ كتفيهِ. قال: ووثبَ إليهِ رجلٌ منَ الأنصارِ فضربَهُ بالسَّيفِ على هامتهِ »

واقعة حنين

وفيها: غزوة حُنيْن — سارَ إليها الرَّسولُ قبلَ أنْ يرْجعَ منْ فتْحِ مكّةَ ومعَهُ عشرَةَ آلافٍ من أهلِ المدينَةِ وألفانِ ممّن أسلمَ يومَ الفتحِ، يريدُ قبيلتىْ ثقيفٍ وهوازنَ لأنَّهم

(١) الثلمة فرجة فى الحائط وغيره من خلل أو هدم (٢) أورق: أسمر كالرماد.

جَمَعُوا الجموعَ لحربِهِ ، وخرجَ معَهُ أيضاً ثمانونَ منَ المشركينَ

ولمّا وصلوا إلَى حُنَيْنٍ سَمِعَ الرّسولُ رجُلًا يقول : لَنْ نُغْلَبَ

اليومَ منْ قلّةٍ ، وأُعْجِبَ المُسلمونَ بكثرتِهِمْ ، فصَعُبَ ذلكَ على

الرّسولِ . ثمّ الْتقوْا بالعَـدُوِّ ، وكانَ على جَانبٍ عَظيمٍ منَ

الـكَثْرَةِ ، وكانَ كامِناً لهمْ في مَضيقِ الوَادِي ، فقابلَهمْ بِنَبلٍ

كالجَرَادِ المُنْتَشِرِ ، وكانَ يوماً هَائِلاً ، فدَهِشَ المسلمون وانْهزموا

ولمْ يَثْبُتْ مَعَ الرّسولِ إلاّ جَماعَةٌ ، منهم أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعليٌّ

والعَبَّاسُ وأبو سُفْيانَ بنُ الحارثِ ابنِ عَمّ الرّسولِ .

كلُّ ذلكَ والنّبيُّ واقِفٌ في ذلكَ المُعْتَرَكِ الضّنْكِ والمأزقِ

الحرِجِ ، ثابتَ الجَأْشِ قَوِيَّ الجَنانِ ، وهو يَقول : أنَا النّبيُّ

لا كَذِبَ ، أنا ابنُ عبدِ المطّلِبِ .

ثمّ نادَى العَبَّاسُ الأنْصارَ بأمرِ الرّسولِ ، وكانَ جَهْوَرِيَّ

الصَّوت ، فانْعَطفوا على النّبيِّ كأنّهمُ الإبِلُ ، وقدْ حَنّتْ إلى

أوْلادِهَا ، ودافعوا عنْهُ وصدَقوا الحَملةَ ، وقَاتَلوا الأعْداءَ قِتالًا

شَدِيداً حَتّى هَزَموهمْ بِإذْنِ اللهِ « وأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على

رسولِهِ وعلى المؤمِنينَ وأنزَلَ جُنوداً لمْ تَرَوْهَا » وهم الملائكة .

وقُتِلَ منَ المشركينَ أكثرُ منْ سبْعينَ ، وأُسِرَ منهمْ

كثيرٌ ، وأخذَ المسلمون نساءَهم وذراريهم وأموالَهم ، وقتلَ من المسلمين أربعةٌ .

وأسلمَ كثيرٌ من أهلِ مكةَ الذين كانوا معَ المسلمين في هذه الغزوة ، بعدَ أن فرحوا بانكسارهم واستهزؤا بهم ، وذلكَ لما رأوه من عنايةِ اللهِ بالمسلمين ، ونصرهِ إياهم بعدَ أن ولّوا الأدبارَ وانهزموا شرَّ هزيمةٍ .

ومَنْ تأملَ في هذا الانكسارِ الذي حصلَ للمسلمين أوّلَ الأمرِ يجدْ أنّ مصدرَهُ شيئانِ مهمّان : الأوّلُ الاغترارُ بالكثرةِ والافتخارُ بوفرةِ العددِ وعدمُ الاتكالِ في النصرِ على الناصرِ الحقيقيِّ ، وهوَ يستدعي الثباتَ أمامَ العقباتِ وتحمّلَ الصدَماتِ والصبرَ إنْ ألمّتْ ملمّاتٌ ، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله تعالى : « ويومَ حنينٍ إذْ أعجبتْكمْ كثرتُكمْ فلمْ تُغنِ عنكمْ منَ اللهِ شيئاً » الثاني : أنّ الجيشَ كانَ أخلاطاً منَ المشركينَ والأعرابِ وممَّنْ كانوا حديثي عهدٍ بالإسلامِ ، وهؤلاءِ لا يهمهم انتصارُ المسلمين وانكسارُهم ، فلا يدافعون عن الإسلامِ حقَّ المدافعةِ كمنْ يقاتلُ مخلصاً دفاعاً عنْ دينهِ في سبيلِ اللهِ معتقداً أنَّ الفرارَ يومَ الزحفِ من الكبائرِ يعذّبُهُ اللهُ عليهِ عذاباً شديداً

غزوة الطائف

وفيها : غزوة الطّائف — سَارَ إليْها الرّسولُ بمَنْ كانَ معَه يوْمَ حُنَينٍ لطَلَبِ الفارّينَ ، فوَجدَهمْ قدْ تحَصّنوا وتزَوّدُوا بمَا يكْفيهمْ قوتَ سنَةٍ ، فلمّا رأوُا المسلمينَ نَضحُوهمْ بالنّبالِ نَضحاً شَديداً فأُصيبَ منهمْ كَثيرٌ ، وماتَ اثْنا عشَرَ رجلًا بالجِراحِ وبَقيَ الحِصارُ تِسْعةَ عشَرَ يوْماً ، فلمْ يُغنِ ذلكَ شيْئاً . ثمّ انْصَرفَ الرّسولُ بمَنْ معَهُ ، ورَجعَ إلى الجِعْرانةِ حيْثُ ترَكَ سَبيَ حُنَينٍ .

وفود هوازن

ورجوع النبي إلى المدينة

وبَعْدَ أيّامٍ أتى الرّسولَ وُفودُهوازِنَ مُسلِمينَ ، خيّرَهمْ بينَ السّبْيِ والمالِ ، فاخْتارُوا السّبْيَ وترَكوا الأمْوالَ .

وبعْدَ أنْ أقامَ الرّسولُ بالجِعْرانَةِ ثلاثَ عشَرَةَ ليْلةً أحْرَمَ منها بِعُمْرَةٍ ودَخلَ مكّةَ ليلاً ، فطَافَ واسْتلَمَ الحجَرَ ، ورَجعَ بالجَيْشِ منْ ليْلتِهِ إلى المدِينةِ ، وكانَ غيابُهُ عنها شهْرَيْنِ وستّةَ عشَرَ يوماً .

وبهذا الفتْحِ الأعظَمِ فتْحِ مكّةَ دانَتْ للإسلامِ جمُوعُ

الشِّرْكِ ، وانحلَّتْ عُرَاهُمْ ، ووَهَنَتْ قُوَاهُم ، وأذْهَبَ اللهُ ظَلامَهم بِبزُوغِ شَمْسِ الإسلام على رُبُوعِهِمْ .

السنة التاسعة

سفانة وعدى

فى هذه السنةِ أرسلَ الرّسولُ علىَّ بنَ أبى طالِبٍ رَضىَ اللهُ عنهُ فى مِائَةٍ وخمْسينَ فارِساً إلى الفُلْسِ وهوَ صَنمُ طَيٍّ ، فَسَارَ إليهِ وهدَمَهُ وأحْرَقَهُ ، وقاتَلَ عُبَّادَهُ وهزَمَهمْ وغَنِمَ سَبْياً ونَعَماً وشاءً ، وكانَ فى السَّبْيِ سَفَّانَةُ بِنْتُ حاتِمٍ الطائىّ الكَرِيمِ الشَّهِير ، فلمّا رجَعوا إلى المدِينةِ مَنَّ الرّسولُ على سَفَّانَة بإطلاقِ أسْرِهَا ، فدَعَتْ لهُ بخيرٍ ، وكانَ منْ دُعائِهَا : « شَكَرَتْكَ يَدٌ افْتَقَرَتْ بعدَ غِنًى ، ولاَ مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بعدَ فَقْرٍ ، وأصَابَ بمَعْرُوفِكَ مَواضِعَهُ ، ولاَ جعَلَ لَكَ إلى لئيمٍ حاجةً ، ولاَ سَلَبَ نِعمةَ كَرِيمٍ إلاَّ وجَعَلَكَ سبَباً لرَدِّهَا عليهِ » .

أما أخُوهَا عَدِىٌّ فإنهُ هرَبَ إلى الشّامِ لمَّا رأى المسلمين قدْ دَخَلَتْ بِلادَهُ ، فلمّا أطلقَ الرّسولُ سَفَّانَة أُخْتَهُ ذَهبَتْ إليهِ

وأخبرته بما عاملها به عليه السلام من الكرم وأشارت عليه أن يذهب إليه ويتبعه، وقالت: «إن يكن نبياً فللسابق إليه فضل، وإن يكن ملكا فأنت أنت» فخرج حتى جاء المدينة، ولقي الرسول، وكلمه وأخبره أنه عدي بن حاتم، فأخذه الرسول إلى بيته، فلما كانا في الطريق أوقفت الرسول عجوز فانية وقوفاً طويلا تكلمه في حاجة لها، فلما رأى عدي ذلك قال والله ما هو بملك، فلما أتيا البيت قال له الرسول: ياعدي: أسلم تسلم، قالها ثلاثاً، فقال عدي: إني على دين، وكان نصرانياً فقال: أنا أعلم بدينك منك، ونصح له الرسول ووعظه، فأسلم وحسن إسلامه.

غزوة تبوك

فيها غزوة تبوك[١]، وتعرف أيضاً بغزوة العسرة، لأنها كانت في زمن عسرة الناس وجدب[٢] الأراضي وشدة الحر، في وقت تحب الناس فيه الراحة والدعة[٣] وقد طابت الظلال والثمار، وقد استقبل المسلمون فيها سفرًا بعيداً، ومفاوز[٤]

(١) تبوك: مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق (٢) الجدب القحط (٣) السكون (٤) جمع مفازة وهي الفلاة المهلكة.

مهلكةً ، وعَدُوًّا كثيراً ، حتى إنهم كانوا ينحرُونَ البعيرَ فيشربونَ ما في كَرْشِهِ منَ الماءِ ، فكانتِ العُسْرَةُ في الماءِ والظَّهْرِ والنفقةِ .

وسبَبُها أنّ الرُّومَ جَمَّعَتِ الجُموعَ بالشّامِ مَعَ هِرَقْلَ تُريدُ غَزْوَ المسلمينَ في بلادِهِمْ ، فعلِمَ الرّسولُ بذلكَ ، فَجَمَّعَ الجُموعَ منْ مكّةَ والمدينةِ وقبائلِ العربِ ، وطلَبَ منَ المُوسِرِينَ[1] تَجْهيزَ المُعْسِرِينَ[2] . فجاءَ عُثمانُ بنُ عفّانَ بعشَرةِ آلافِ دينارٍ وثلاثمائةِ بَعيرٍ بأحْلاسِها[3] وأَقْتابِها[4] وخمسينَ فرَساً . فدَعا له الرّسولُ صلى اللهُ عليه وسلم بخيرٍ . وجاءَ أبو بكرٍ بكلِّ مالهِ وهوَ أربعةُ آلافِ درْهمٍ ، وجاءَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بنِصفِ مالهِ وجاءَ عبدُ الرّحمنِ بنُ عوْفٍ بمائتَيْ أوقيّةٍ ، وجاءَ العبّاسُ وَطَلْحةُ بمالٍ كثيرٍ ، وتَصدّقَ عاصِمُ بنُ عَدِيّ بتِسْعينَ وَسْقاً[5] منْ تمْرٍ ، وأرْسلَ النِّساءُ بكلِّ ما قَدَرْنَ عليهِ منْ حُلِيِّهِنَّ . ثمّ جهّزَ عُثمانُ والعبّاسُ أيضاً ويامِينُ بنُ عمْرٍو قوْماً آخرينَ جاءوا إلى الرّسولِ يَسألونَهُ الحُمْلانَ . فقالَ لهم : لا أَجِدُ ما أَحمِلُكُمْ ،

(١) الاغنياء (٢) الفقراء (٣) الأحلاس جمع حلس وهو مايوضع على ظهر الدابة تحت الرحل او البرذعة او السرج (٤) الاقتاب جمع قتب وهو الرحل او البرذعة (٥) الوسق حمل البعير أو ستون صاعا .

وهمُ الذينَ قالَ الله فيهم : « تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهمْ تَفِيضُ منَ الدَّمعِ حَزَنًا أَنْ لاَ يجدُوا ما يُنفِقُونَ » .

ولمّا تأهّبَ الرّسولُ للخُروجِ قالَ قومٌ منَ المُنافقِينَ لاتَنفرُوا فى الحرِّ فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم : « وقالوا لاَ تنفرُوا فى الحرِّ ، قل نارُ جهنّمَ أشدُّ حرًّا لوْ كانوا يفقهون » . وجاءَهُ المُعذِّرُونَ منَ الأعرابِ (وهُمْ أصحابُ الأعذارِ منْ ضَعفٍ أو قلّةٍ) يَستأذِنونَهُ فى التّخلّفِ عنهُ فأذِنَ لهم ، وكانوا اثنينِ وثمانينَ رجُلاً ، وقعَدَ آخرُونَ منَ المُنافقين بغيرِ عُذرٍ ، يرأسُهم عبدُ اللهِ ابنُ أُبَىّ . وهمُ الذينَ نزلَ فيهم قولُه تعالى : « وقعَدَ الّذِينَ كذَبُوا اللهَ ورَسولَهُ » وتخلّفَ نفرٌ منَ المسلمين منْ غيرِ شَكٍّ ولاَ ارْتيابٍ ، وقدِ اسْتأذنَهُ جماعةٌ منَ المنافقِينَ فأذِنَ لهم ، وقد عتَبَ اللهُ عليهِ فى الإذْنِ لهم بقوله : « عَفَا اللهُ عنكَ ، لِمَ أذِنْتَ لهم حتى يَتبيّنَ لكَ الّذِينَ صدَقوا وتَعلمَ الكاذِبينَ ، إنّما يَستأذِنُكَ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وارتابتْ قلوبُهُم فهُم فى رَيْبِهم يتَردّدون ، ولو أرادُوا الخرُوجَ لأعدُّوا لهُ عُدّةً ، ولكنْ كرِهَ اللهُ انبعاثَهمْ فثبّطَهُمْ وقيلَ اقْعدُوا مَعَ

القَاعِدِينَ . لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً [١] وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ [٢] يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ ، وفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، واللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » .

واُسْتُخلِفَ عليه السَّلامُ على المدينةِ وأَهْلِهِ عليٌّ بْنَ أبي طالِبٍ ، وقِيلَ بَلِ اُسْتُخلِفَ على المدينةِ محمدَ بْنَ مَسْلِمَةَ وعلى أَهْلِهِ عَلِيًّا ، فقالَ عليٌّ أَتُخلِّفُنِي على الصِّبْيانِ والنِّسَاءِ ؛ فقالَ عليهِ السَّلامُ : « أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هرُونَ مِنْ موسى إِلاّ أَنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي ؛ » .

ثُمَّ سَارَ الرَّسولُ بِالجَيْشِ ، وكانَ ثلاثينَ أَلْفًا ، فلمَّا كانوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ [٣] نَاقَةُ الرَّسولِ ، فقالَ بعضُ المُنافقينَ : يَزْعُمُ محمدٌ أنه نبيٌّ ولا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُه ، فأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ على ما قالَهُ . فقالَ لهم عليه السَّلام : « إِنِّي واللهِ لا أَعْلَمُ إِلاّ ما عَلَّمَنِي اللهُ سُبْحَانَه وتعالى ، وقدْ دَلَّنِي اللهُ تعالى عليها ، وهيَ في الوادِي في شِعْبِ كذا وكذا ، وقدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا » .

فلمَّا وَصَلوا إلى تَبُوكَ لَمْ يَرَوْا فِيهَا جَيْشًا كما كانوا قدْ سَمِعوا .

(١) أى فساداً وشراً (٢) أى أسرعوا بينكم بالنميمة والفساد والتخويف - يقال فى الاصل وضع البعير اذا أسرع واوضعه راكبه اذا حمله على الاسراع وقد استعير هنا للاسراع بالفساد والشر (٣) ضاعت

وقبلَ انْصِرَافِهِ منْ تَبُوكَ جاءَهُ يُوحَنَّا صاحِبُ أيْلَةَ ومعَه أهلُ جَرْبَاءَ وأذْرُحَ ومِينياءَ، وهىَ بلادٌ بالشّام فَصالحوهُ وأعطوْهُ الجِزْيَةَ ، وكَتَبَ لهمْ كِتَابًا فيهِ أمَانٌ لهمْ ولأمْوالهمْ ولأزْوَاجِهمْ مَادَاموا على الصُّلْحِ والعهدِ .

ثمّ اسْتَشَارَ الرّسولُ أصحَابَه فى أَنْ يُجَاوِز تَبُوكَ إلى مَاهوَ أَبْعدُ منهاَ منْ دِيارِ الشّامِ ، فقال عُمَرُ : إنْ كُنْتَ أُمِرْتَ بالسّيرِ فَسِرْ ، فقال عليهِ السّلام ، لوْ كُنْتُ أُمِرْتُ بِالسّيرِ لمْ أَسْتَشِرْ

ثمّ رَجَعوا منْ تَبوكَ بعْدَ أَنْ أَقاموا بهاَ عشْرِينَ لَيْلَةً ، ولمْ يكُنْ حَرْبٌ ، وبَنَى فى طَرِيقِهِ مَساجِدَ .

فلمّا دَنَا منَ المَدِينةِ قال الرّسولُ تَطْيِيبًا لِقلوبِ المُعَذِّرِينَ (وهمُ الذِينَ حَبَسَهُمُ العُذْرُ الشّرعىُّ عنِ الخُروجِ مَعَ النّبىِّ : « إنّ فى المَدِينَةِ قَومًا ما سِرتم سيرًا ولاَ قَطَعتمْ وادِياً إلاّ كانوا معكمْ حَبَسَهُمُ العُذْرُ » .

ولمّـا دَخَلَ الرّسولُ المَدِينَةَ قال العبّاسُ : أَتأْذَنُ لِى أَنْ أَمْتَدِحَكَ ؟ قال : قل لاَ يُفْضِضِ اللهُ فَاكَ — فقال قَصيدةً منها:

وأنْتَ لمّا وُلدتَ أشْرَقَتِ — الأرضُ وضَاءتْ بنورِكَ الأُفقُ

فَنَحنُ فى ذلك الضّياءِ وفى — النّورِ وسُبْلِ الرّشادِ نَخْتَرِقُ

حوادث وحج أبى بكر بالناس

وفيها : وفدَ على الرّسولِ وفدٌ من ثقيفَ فأسلموا ودَعَوْا قومَهم أهلَ الطّائفِ فأجابوا .

وفى ذى القَعْدَةِ من هذه السنةِ أمرَ الرّسولُ أبا بكرٍ أنْ يَحُجَّ بالنّاسِ ، وأمرَهُ أنْ يُؤَذِّنَ بالنّاسِ يومَ النّحرِ : أنْ لاَ يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشركٌ ولا يَطوفَ فى البيتِ عُريان ، فلمّا سارَ بالنّاسِ نَزَلَ على الرّسولِ أوائلُ سُورَةِ (براءة) فأرسلَ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ليُبلِّغَها للنّاسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ وقال : لاَ يبلّغُ عنى إلاّ رجلٌ منى . ونحواها : نَبْذُ العُهودِ لجميعِ المشركينَ الذينَ لمْ يُوفُوا بعُهودِهمْ ، وإمهالُهمْ أربعةَ أشهرٍ يَسيحُونَ فيها فى الأرضِ كَيْفَ شاءوا ، وإتمامُ العهودِ للمشركينَ الذينَ لم يَتظاهرُوا ضِدَّ المسلمين إلى مُدَّتِه ، وأنزلَ اللهُ تعالى : « يا أيُّها الذينَ آمنوا إنّما المُشركونَ نَجَسٌ فلا يَقرَبُوا المَسْجدَ الحَرامَ بعدَ عامِهمْ هذا » . فلمْ يَحُجَّ فى العامِ القَابلِ مُشركٌ ، وكانَ عليٌّ يُصلّى فى هذا السفَرِ وراءَ أبى بكرٍ رضىَ اللهُ عنهما .

وفيها : تُوُفِّىَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ أبى سَلُولٍ رئيسُ

المُنافقينَ ، فاستراحَ المسلمون من شرُورٍ كانَ يَهيجُها عليهم .

وفيها : أيضاً تُوُفِّيَتْ أُمُّ كلثومَ بنتُ الرّسولِ وزَوْجُ عثمانَ بنِ عفّانَ رضِيَ اللهُ عنهما .

السنة العاشرة

بعثات الى اليمن

فى هذهِ السّنةِ أَرْسلَ الرّسولُ عليَّ بْنَ أَبى طالبٍ عليهِ السّلامُ فى ثلاثمائةِ فارسٍ إلى قبيلةِ بَنى مِذْحَجٍ من أَهلِ اليمنِ ، وعقدَ لهُ لِواءَهُ بيمينِهِ وعمَّمَهُ بيدِهِ ، وقال له : « سِرْ حتّى تنزلَ بِساحتِهمْ فادْعُهمْ إلى قولِ : لا إلهَ إلاّ الله ، فإنْ قالوا : نعمْ ، فمُرْهمْ بالصّلاةِ ، ولاَ تبغِ منهم غيرَ ذلك ، ولأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجلًا واحدًا خيرٌ لكَ ممّا طلعتْ عليهِ الشّمْسُ ، ولاَ تُقَاتِلْهمْ حتّى يُقَاتِلوكَ » . وقال له أيضاً : « إذا جلسَ إليْكَ الخصْمانِ فلا تقْضِ بينهماَ حتّى تَسْمَعَ منَ الآخرِ » .

فسارَ عليٌّ حتّى انتهى إليهم ، ولقِيَ جُمُوعَهُمْ فدَعاهمْ إلى الإسلام فأَبَوْا ورَمَوْا المسلمين بالنَّبْلِ ، فحمَلَ عليهم المسلمون

فقتلوا منهم عشرينَ رجُلًا ، فانهزموا فكَفَّ عنْ طلبهم ، ثمّ لحِقهُمْ فدَعاهم إلى الإسلامِ فأجابُوا ، وبايَعهُ رُؤساؤهمْ ، وطلبوا منه أنْ يأخُذَ زكاةَ أموالِهمْ ، وأنْ يكونوا على مَنْ وراءَهمْ من قومِهم .

ثمّ قفَلَ عليٌّ رضى الله عنهُ بأصحابهِ ، فوافَى الرّسولَ بمكّةَ فى حجّةِ الوَداعِ .

ثمّ أرسلَ الرّسولُ إلى أهلِ اليمنِ مَنْ يُعلّمُهم شرائعَ الإسلامِ ، وكانتْ مِخْلافَيْنِ[1] ، فبعثَ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ إلى الكورَةِ العُليا من جهَةِ عدَنَ ، وبعثَ أبا موسَى الأشعَرِىّ إلى الكورَةِ السُّفلى ، وقال لهما : « يَسّرَا ولاَ تُعسّرَا ، وبشّرَا ولاَ تُنفّرَا » وقال لِمُعاذٍ : « إنّكَ ستأتى قوْماً أهلَ كِتابٍ[2] ، فإذا جئتهُمْ فادْعُهمْ إلى أنْ يَشهَدُوا أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنّ محمداً رسولُ اللهِ ، فإنْ أطاعُوا لكَ بذلك فأخبِرْهمْ أنّ اللهَ قدْ فرَضَ عليهمْ خمسَ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليْلةٍ ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لَكَ بذلك فأخبِرْهمْ أنّ اللهَ قدْ فرَضَ عليهم صدَقةً[3] تؤْخَذُ منْ أغنيائهم

(١) المخلاف الكورة والاقليم (٢) حينما ذكر اهل الكتاب فالمراد بهم اليهود والنصارى (٣) المراد بالصدقة الزكاة

فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ ، فإِنْ هُمْ أطاعُوا لكَ بذلك فإِيَّاكَ وكَرَائِمَ[1] أَموالِهِمْ ، واتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ فإِنَّها ليسَ بينها وبينَ اللهِ حِجَابٌ » .

ثمَّ انطلَقَ كلٌّ منهما إلى عملِهِ ، فمكثَ مُعاذٌ باليمنِ حتى تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ . أمّا أبو موسى فقَدِمَ على النّبيِّ فى حَجةِ الوَدَاعِ .

حجة الوداع

وفى هذه السّنَةِ حجَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الحجةَ الّتى تعْرَفُ بحجّةِ الوَدَاعِ وحجّةِ البَلاغِ وحجّةِ الإسْلامِ : خرَجَ الرّسولُ إليْها يومَ السَّبْتِ لخَمْسٍ بَقِينَ منْ ذِى القَعْدَةِ ، فسَارَ حتّى دخلَ مكّةَ . وفى الثّامنِ منْ شهرِ ذِى الحِجّةِ ذهَبَ إلى مِنًى فبَاتَ فيهَا . وفى التّاسعِ منْهُ توَجّهَ إلى عرَفةَ ، وفيهَا خَطَبَ خُطْبَتَهُ الّتى تُعْرَفُ بخطْبَةِ الْوَدَاعِ : بيّنَ فيهَا أهمَّ أُصولِ الدِّينِ وفرُوعِهِ ، وفى هذا الْيوم نزَلَ قولهُ تعَالى الذى امتَنَّ فيهِ على المؤْمِنينَ وهوَ « اليومَ أكمَلْتُ لكم دِينَكمْ وأتْمَمْتُ عليكم نِعمَتى ورَضِيتُ لكمُ الإسْلامَ دِيناً » . فلاَ عجَبَ إنِ اتّخذَ المسلمونَ

(١) أى ان أسلموا وأعطوك الزكاة فلا تمتد على أطايب أموالهم .

ذلكِ اليومَ عيدًا . وفى البُخارى عنْ عُمَرَ بن الخطّاب رضىَ الله عنه : « إنّ رَجُلًا منَ اليهودِ قال لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ . آيةٌ فى كتابكمْ تقرؤُنها لوْ علينا معشرَ اليهودِ نزلتْ لاتخذنا ذلكَ اليومَ عيدًا . قال أىُّ آيةٍ هىَ؟ قال : «اليومَ أكمَلْتُ لكمْ دينَكم وأتممْتُ عليكمْ نِعمَتى ورَضيت لكمُ الإسلامَ دِينًا » . فقال عُمَرُ : قد عرَفْنا ذلكَ اليومَ والمكانَ الذى نزَلَتْ فيهِ على النّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو قائمٌ بعرفَةَ يومَ جُمعةٍ » .

ثمَّ رجعَ الرّسولُ إلى المدينةِ .

وفود العرب

ولمّا امْتدَّ سلْطَان الإسلام ، وبزغَتْ شمْسُهُ على الأنامِ ، وأدْركَ حقيقَتَهُ الخاصُّ والعامُّ ، رَغِبَ فيهِ الشّيخُ والغلامُ ، فأتوهُ طوعًا زرافاتٍ ووحدانًا ، مُشاةً ورُكبانًا ، وشدُّوا الرّحالَ لاعتِناقِهِ ، وجابوا المَفاوزَ للتشرُّفِ بالدُّخول فيهِ ، فكثُرَتِ الوُفودُ على الرّسولِ فى هذِهِ السّنةِ والّتى قبلَها ، فأسلَمَ كثيرٌ منْ قَبائلِ العرَبِ عَنْ طيبِ نفسٍ إذْعانًا للهِ وخُضوعًا لدِينهِ .

ومنَ الوُفودِ بنُو حَنيفةَ ومعَهمْ مُسَيلِمةُ الكذّابُ .

وفى البخارى عن ابنِ عبّاسٍ رضىَ اللهُ عنهما قال: «قدِمَ مُسَيلِمةُ الكذّابُ على عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فجعلَ يقولُ: إنْ جعلَ لى محمّدٌ الأمْرَ منْ بعدِهِ تبِعتُهُ . فأقبلَ إليهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومعَهُ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شمّاسٍ ، وفى يدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قِطعةُ جريدٍ ، حتّى وقفَ على مُسَيلِمةَ فى أصحابِهِ فقال : لو سألتَنى هذهِ القِطعةَ ما أعطيتُكَها ، وإنّى لأراكَ الذِى أُرِيتُ فيهِ ما رأيتُ ، وهذا ثابتٌ يُجيبُكَ عنّى ، ثم انصرَفَ عنهُ . قال ابنُ عبّاسٍ : فسألتُ عنْ قولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنّكَ أرَى الذِى أُريتُ فيهِ ما رأيتُ فأخبرَنى أبو هُرَيرَةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائمٌ رأيتُ فى يدىَّ سوارَيْنِ منْ ذهَبٍ فأهمّنِي شأنُهُما فأوحىَ إلىَّ فى المَنامِ أنْ انفُخهُما فنفَختُهُما فطارَا ، فأوّلتُهما كذّابيْنِ يخرُجانِ منْ بعدِى (احدهما الأسوَدُ العَنْسىُّ طليحةُ صاحِبُ صنْعاءَ ، والآخرُ مُسَيلِمةُ الكذّابُ صاحِبُ اليَمامةِ) وقدْ أسلمَ بنو حنيفة »

وفي هذهِ السّنة : تُوُفِّيَ إبْرَاهيمُ ابْنُ الرّسولِ صلى الله عليه وسلم .

***

وقدْ تمّ لِهجْرَةِ رسولِ اللهِ بانتهاءِ السّنةِ العاشِرَةِ عَشْرُ سَنواتٍ إلاَّ شهْرَيْنِ وأحدَ عشرَ يوْماً ، وذلكَ لهِجْرَتِهِ منْ مكةَ إلى المدينةِ .

السنة الحادية عشره

مرض الرسول

فيها : جهّزَ الرّسولُ سَرِيّةً برِئاسَةِ أُسامةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حارثةَ إلى أُبْنَى (وهيَ نَاحِيَةٌ بالْبَلْقَاءِ منْ مُؤْتَةَ حيثُ قُتلَ والدُهُ) وكانَ فى الجيْشِ كِبَارُ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ كأَبى بَكْرٍ وعُمَرَ وأَبى عُبَيْدَةَ وسَعْدٍ . وكانَ أُسامةُ شابًّا لا يَتجاوزُ السَّابعةَ عَشْرَةَ منْ عُمُرِهِ ، ولمْ يَتِمَّ لهذهِ السَّرِيّةِ السّفَرُ لأَنَّهُ ابْتدأَ مَرَضُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

فلمّا اشْتدَّ برسولِ اللهِ المَرَضُ اسْتأْذَنَ نِساءَهُ أنْ

يُمَرَّضَ[١] فى بيتِ إحداهُنَّ، فأذِنَ لهُ أنْ يُمَرَّضَ فى بيتِ عائشة
ولمَّا تعذَّرَ عليهِ الخروجُ إلى الصلاةِ قالَ: مُرُوا أبَا بكرٍ فليُصلِّ
بالنَّاسِ، ثمَّ خرَجَ مُتوَكِّئًا على عليٍّ والفضلِ. وتقدَّمَ العبَّاسُ
أمامَهمْ والنَّبيُّ معصُوبُ الرَّأسِ يخُطُّ[٢] برِجليهِ حتَّى جلسَ
فى أسفلِ مِرْقاةِ المنبَرِ. فثارَ إليهِ النَّاسُ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه
ثمَّ قال: «أيُّها النَّاسُ بلغَني أنكُمْ تخافونَ منْ موْتِ نبيِّكمْ
هلْ خلدَ نبيٌّ قبلِي فيمَنْ بُعثَ فأخلدَ فيكمْ؟ ألاَ وإنِّي لاَحقٌ بربِّي
وإنَّكمْ لاَحِقونَ بِي، فأُوصيكُمْ بالمُهاجرينَ الأوَّلينَ خيرًا،
وأُوصِي المُهاجرينَ فيما بينهمْ، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: «والعصْرِ
إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ إلاَّ الَّذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ
وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصبْرِ» وإنَّ الأُمورَ تجْرِي بإذْنِ اللهِ.
ولاَ يحْمِلَنَّكُمْ استبْطاءُ أمرٍ على استِعْجالِه، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ
لا يَعْجَلُ بعَجلةِ أحَدٍ. ومَنْ غالَبَ اللهَ غلَبَهُ، ومَنْ خادَعَ اللهَ
خدَعَهُ «فهلْ عسَيتُمْ إنْ توَلَّيتُمْ أنْ تُفسِدُوا فى الأرْضِ وتُقطِّعُوا
أرْحامكُمْ» وأُوصِيكُمْ بالأنصارِ خيرًا، فإنَّهمُ الَّذينَ تبوَّءُوا
الدَّارَ والإيمانَ منْ قبلِكم: أنْ تُحسِنوا إليهمْ، ألمْ يُشاطِرُوكمْ

(١) يمرض أى يخدم فى مرضه (٢) أى لا يستطيع أن يثبتهما على الارض.

فى الثِّمار ؟ أَلَمْ يُوَسِّعُوا لكم فى الدَّار ؟ أَلَمْ يُؤْثِرُوكم[١] على أَنفسهم وبِهِمُ الخَصَاصةُ ؟[٢] أَلاَ فمَنْ وُلِّيَ أنْ يحكمَ بينَ رجلين فليقبلْ من مُحْسِنِهِمْ وليتجاوزْ عن مُسيئِهِمْ ، أَلاَ ولا تستأثِرُوا[٣] عليهم أَلاَ وإنّى فَرَطٌ[٤] لكمْ ، وأنتم لاحِقون بى ، أَلاَ فإنّ مَوْعِدَكُمُ الحوضُ ، الا فمَنْ أحبَّ أنْ يَرِدَهُ علىَّ فليُكْفِفْ يَدَهُ ولِسانَهُ إلاّ فيما يَنْبغى »

وفاة الرسول

ولمّا كانَ يومُ الأحدِ اشتدَّ وَجعُ الرّسول صلى الله عليه وسلم . ولمّا دخلَ يومُ الإثنينِ فى الثّانىَ عشرَ من شهرِ رَبيعٍ الأوّلِ الذى هوَ تتِمّةُ عشرِ سنينَ للهجرةِ فارقَ الرّسُولُ دُنياهُ ، ولحقَ بمولاهُ ، واختارَ الرّفيقَ الأعلى ، على زهرةِ الحياة الدّنيا ، بعدَأَنْ أَدّى الأمانةَ حقَّ أدائِها ، وهدى النّاسَ الصِّراطَ المستقيم ، ودعاهم إلى اللهِ العظيم ، فلاقى منْ أَجلِ ذلكَ مشقّاتٍ جُمّةً ، وأهوالاً عظيمةً ، فكم أزاحَ عَقَبةً[٥] كؤودًا ، وخاضَ بحرًا

---

(١) أى يفضلوكم (٢) الخصاصة : الفقر (٣) لا تستأثروا : لا تستبدوا (٤) أى متقدم عليكم وسابقكم والفرط في الاصل الذى يتقدم الواردين الى الماء فيهيىء لهم الارسان والدلاء ليستقى لهم (٥) العقبة : واحدة عقبات الجبال والعقبة الكؤود هى الصعبة الصعود .

هاجَا، وسلكَ مفاوزَ مهلكة، فثبتَ غيرَ مبالٍ بهولٍ، ولا عابئٍ بمشقةٍ، ووقفَ أمامَ تلكَ الملمّاتِ[١]، وسبحَ في تلكَ الغمراتِ[٢] الى أنْ صرعَ الحقُّ الباطلَ، وأبادَ تلكَ الجحافلَ[٣] فنشرتْ أشعةُ الدينِ الحنيفيِّ في هاتيكَ المجاهلِ[٤]. فذهبَ والكونُ بما فيهِ ألسنةٌ ناطقةٌ بالشكرِ لهُ والثناءِ عليهِ، لأنهُ كانَ السببَ الأقوى في تخليصِ العالمِ من الضلالِ والفجورِ وفسادِ الأخلاقِ. والوسيلةَ العظمى في تنويرِ الأفكارِ، وبثِّ روحِ المدنيّةِ الحقِّ في هذا العالمِ، فحسنتْ بذلكَ الحالُ، وسلمَ المآلُ، وقدْ شهدتْ لهُ بذلكَ العلماءُ الغابرةُ، والفلاسفةُ الحاضرةُ.

*
* *

وعندَ وفاةِ رسولِ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلام، كانَ أبو بكرٍ غائبًا في السُّنحِ (وهيَ منازلُ بني الحارثِ بنِ الخزرجِ) فلمّا علمَ المسلمونَ بوفاتهِ عظمَ عليهمُ الامرُ، واشتدَّ الهولُ، وجاءَ عمرُ بنُ الخطّابِ منتضيًا سيفهُ متوعّدًا منْ يقولُ « ماتَ

(١) الملمات: النوازل (٢) الغمرات: الشدائد (٣) الجحافل الجيوش العظيمة والمراد بها جيوش الباطل (٤) المجاهل: جمع مجهل وهي الفلاة المهلكة التي لا يهتدى فيها، والمراد بها تلك الظلمات من الباطل والشرك والفجور التي أضلت الامم.

رسُولُ اللهِ » وقال: إنما أُرْسلَ إليهِ كما أُرسل إلى مُوسى فلَبث عنْ قَوْمِهِ أَرْبَعينَ لَيْلةً .

فلمّا جاءَ أبو بكرٍ وأُخبِرَ الخبرَ دَخلَ بيْتَ عائشةَ وكشَفَ الحِجَابَ عنْ وجْهِ رسولِ اللهِ فقبّلَهُ وبكى . ثم خرَجَ فحمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ، ثمّ قالَ : « ألاَ مَنْ كانَ يَعبُدُ محمدًا فإنّ محمّدًا قدْ ماتَ ، ومَنْ كانَ يعبُدُ اللهَ فإنّ اللهَ حيٌّ لاَ يمُوتُ ، ثمّ تلاَ قولَهُ تعالى: « إنّكَ مَيّتٌ وإنّهمْ ميّتُون » وما محمّدٌ إلاّ رسُولٌ قدْ خلَتْ منْ قَبلِهِ الرُّسُلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتلَ انقلبتم على أعقَابكم ومَنْ يَنقلِبْ علىعقبَيْهِ فلَنْ يَضرَّ اللهَ شيئاً وسيَجزى اللهُ الشاكرِينَ » قال عمَرُ : فكأنّى لمْ أتلُ هذهِ الآيةَ قطُّ .

دفنه عليه السلام

وبقىَ عليهِ السّلامُ فى بَيْتِهِ بقيّةَ يوْمِ الاثْنينِ ولَيْلَةَ الثلاثاءِ ويوْمَهُ وليلةَ الأرْبَعاءِ حتى انتهى المسلمونَ منْ إقامةِ خَليفةٍ لهم ، ثمّ غُسِّلَ وكُفِّنَ فى ثلاثةِ أثوابٍ ليسَ فيها قَميصٌ ولاَ عِمامةٌ ، ولمّاتمّ تجهيزُهُ وُضِعَ على سَرِيرِهِ فى بَيتِ عائشةَ ، وصلّى عليهِ المسلمونَ جَميعاً بلاَ إمامٍ ، الرِّجالُ ثمّ النِّساءُ ثمّ الصِّبْيانُ ، ثمّ

حُفِرَ لهُ لَحدٌ في بَيتِ عائِشةَ حيثُ تُوُفِّيَ ، ودُفِنَ ليلةَ الأربعاءِ في جَوفِ اللَّيلِ ، ودَخلَ القبرَ عليٌّ والعبَّاسُ وَوَلداهُ الفَضلُ وَقُثَمُ ، وهُمُ الذينَ تَوَلَّوا غسلَهُ وتَكفِينَهُ وأَمرَهُ كلَّهُ . ورَشَّ قبرَهُ بالماءِ بِلالٌ . ورُفِعَ قبرُهُ عنِ الأرضِ قدرَ شِبرٍ .

وفي الحديثِ : « لا تَتَّخِذوا قبري وثَناً يُعبَدُ من بعدي »

*
* *

تُوُفِّيَ عليهِ السلامُ ولمْ يَترُكْ لِلمسلمينَ سِوَى شيئينِ لا يَضُرُّهُمْ شيْءٌ ما تَمَسَّكُوا بِهِما . وهُما : كِتابُ اللهِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ منْ بينِ يَدَيهِ ولا منْ خَلفِهِ ، والثاني ما حفِظَهُ عنهُ الثِّقاتُ منَ الأحاديثِ الّتي كانتْ تَشريعاً وتبييناً للأحكامِ ، وتَوضيحاً لِمقاصِدِ القرآنِ الكريمِ ، وقدْ هَمَّ الرّسولُ وهوَ في مَرَضِ مَوتِهِ أنْ يكتُبَ للأُمةِ كِتاباً لا تَضِلُّ بعدَهُ أبداً . رَوَى البخاريُّ » عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال : لمّا اشتدَّ بالنّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجَعُهُ قال : ائتوني بِكِتابٍ أكتُبْ لكُمْ كِتاباً لا تَضِلُّوا بعدَهُ . فقالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه : إنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم غلبَهُ الوَجَعُ ، وعندَنا كِتابُ اللهِ حَسبُنا .

فَٱخْتلفوا وكَثُرَ اللَّغطُ . فقال : قوموا عَنّى ولاَ يَنبغى عِندِى التَّنَازُعُ »

***

عَاشَ عليهِ السّلامُ ثلاثاً وستِينَ سَنَةً ، قَضَى منهَا أَرْبَعينَ سَنَةً قبلَ النُّبُوَّةِ ، وثلاثَ عشْرَةَ سَنَةً فى مَكّةَ بعدَهَا ، وعشرَ سِنينَ فى المدينَةِ بعدَ الهِجْرَةِ ، وقدِ اتّفقَ أَنّ يومَ ولادَتِهِ وهِجْرَتِهِ ووَفاتِهِ هوَ يومُ الاُثْنينِ فى الثّانى عشرَ منْ شهْرِ رَبيعِ الأوّلِ صلى الله عليهِ وسلم ، وجَعلنَا ممّنْ يَرِدُ حَوْضَهُ ويَنالُ مُرَافقَتهُ فى أَعْلى عِلّيِّينَ ، ثمّ إِنّا نحمَدُهُ تعالى أَنْ جعلنَا منْ أُمّتِهِ ، كما نَسأَلهُ أَنْ يَتوَفّانَا على مِلّتِهِ ، ويُرْشِدَنَا إِلَى العَمَلِ بِمقتَضى شَريعَتِهِ ، ويُثَبِّتَنا على هِدَايتِهِ ، ويُغْنِيَنَا سُبحَانه بِرَحمتهِ فى الدُّنيا والآخِرَةِ آمين .

الخلافة بعده

انْتقلَ الرّسولُ منْ هذِهِ الدّارِ الْفَانيةِ إلى تِلكَ الدّارِ الْبَاقيةِ ولمْ يَعْهَدْ لاحدٍ بَعْدَهُ بالأَمْرِ ليكونَ خَليفةً للمسلمين .

رَوَى الْبخَارِىُّ عنِ ابْنِ عبّاسٍ رضى الله عنهمَا : « أَنّ علىّ ابْنَ أبى طالِبٍ رضى الله عنه خرج منْ عِنْدِ رسولِ اللهِ صلّى الله

عليه وسلمَ في وَجَعهِ الّذي تُوُفّيَ فيهِ ، فقال النّاسُ: ياأبا الحسَنِ ، كيفَ أصبحَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبحَ بحمدِ اللهِ بارِئًا ، فأخذَ بيدِهِ عبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ رضيَ الله عنهُ فقال : « أنتَ واللهِ بعدَ ثلاثٍ[1] عبدُ العَصا[2] وإنى واللهِ لأرى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَوفَ يُتوَفّى في وَجَعِهِ هـذا ، إنّي لأعرفُ وُجوهَ بَني عبدِ المطّلبِ عِندَ الموتِ ، إذهَبْ بنا إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَلْنَسألهُ فيمَنْ هذا الأمرُ ، إنْ كانَ فينا علِمْنا ذلكَ ، وإنْ كانَ في غيرِنا عَلِمْناهُ فأوصَى بنا » . فقَال عليّ : « إنّا واللهِ لئنْ سألْناها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَمَنَعَناها لا يُعطيناها النّاسُ بعدَهُ ، وإنّي لا أَسألُها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم » .

وبعدَ وفاةِ الرّسولِ اختلفَ الصّحابةُ فيمَنْ يَتوَلّى الأمرَ بَعدَهُ ، فَطلَبَها الأنصارُ لأنفُسِهِم ، فأرادَ عُمَرُ الكلامَ فقال له أبو بكرٍ : على رِسْلِكَ[3] ، ثمّ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمّ قال:

« أيُّها النّاسُ : نحنُ المُهاجِرينَ أوّلُ النّاسِ إسلامًا ، وأكرَمُهُمْ أحسابًا ، وأوسَطُهمْ دارًا ، وأحسنُهمْ وُجُوهًا ،

---

(١) أى بعد ثلاث من الليالى بأيامها (٢) أى تصير مأمور بموته وولاية غيره
(٣)ى على مهلك .

وأَكْثرُ النّاسِ ولادَةً في العَرب، وأمَسُّهُمْ رَحِماً، برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَسْلمنا قبلَكم، وقُدِّمْنا في القرآنِ عليكمْ، فقال تَبارَكَ وتعالى: « والسَّابِقُونَ الأَوَّلونَ منَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ الّذِينَ اتَّبعوهُمْ بإِحْسانٍ » فنَحْنُ المُهاجرونَ وأَنتمُ الأنْصارُ إخْوانُنا في الدِّينِ، وشُرَكاؤُنا في الفَيْءِ، وأنْصارُنا على العدُوِّ، وآوَيْتُمْ وواسَيْتُمْ، جَزاكُمُ اللهُ خيْرًا، فنَحْنُ الأُمَراءُ وأَنتمُ الوُزَراءُ، لا تَدِينُ العَرَبُ إلاّ لهذا الحيِّ منْ قُرَيْش، فلا تَنفَسوا على إخْوانِكمْ المُهاجِرِينَ ما مَنَحَهُمُ اللهُ منْ فَضْلِهِ»

ثُمَّ قالَ عُمَرُ لِأَبي بكْرٍ: امْدُدْ يَدَكَ أُبايِعْكَ، فمَدَّ يدَهُ فبَايَعَهُ وبايَعَهُ النّاسُ، وهوَ أَوّلُ خَليفةٍ في الإِسلامَ.

*

خاتمة

فى اشياء متفرقة

أولاده عليه السلام

أمّا أبناء الرّسول فثلاثة وهم : القاسم [١] وإبراهيم [٢] وعبد الله [٣] ، وأمّا بناته فهنّ أربع : زينب [٤] ورقيّة [٥] وأم كلثوم [٦] وفاطمة البتول [٧] . وكلّ أولاده من خديجة بنت خويلد إلاّ إبراهيم فإنه من مارية القبطيّة ، وكل أولاده وُلدوا قبل النبوّة إلاّ فاطمة فبعد النبوّة بسنة واحدة على المعتمد [٨] ، وإلاّ إبراهيم فإنّه وُلد فى الثّامنة من الهجرة . وكلّ أولاده ماتوا قبله إلاّ فاطمة ، فإنّها عاشت بعده ستّة أشهر .

أزواجه وسراريه الطاهرات

قد اختلف فى أزواجه صلى الله عليه وسلم ، والمتّفق عليه

(١) هو أول ولد ولد له قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش سنتين (٢) توفى بعد سبعين يوما من مولده (٣) ويلقب بالطيب والطاهر وقد مات صغيراً (٤) هى أكبر بناته أدركت الاسلام واسلمت ثم اسلم زوجها وابن خالتها أبو العاص لقيط بن الربيع (٥) زوجها عثمان ابن عفان (٦) تزوجها عثمان ايضاً بعد وفاة أختها رقية (٧) زوجها على بن أبى طالب وتلقب بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً (٨) وقيل ولدت قبل النبوة بخمس سنين وهو غير معتمد .

أنهن إحدى عشرة امرأة : ست من قريش وهن : خديجة[١] بنت خويلد ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها ، وعائشة[٢] بنت أبي بكر الصديق ، وحفصة[٣] بنت عمر ، وأم حبيبة[٤] بنت أبي سفيان ، وأم سلمة[٥] هند بنت أبي أمية ، وسودة[٦] بنت زمعة ، وأربع عربيات وهن : زينب[٧] بنت جحش من بني أسد بن خزيمة ، وميمونة[٨] بنت الحارث الهلالية ، وزينب[٩] بنت خزيمة الهلالية وتعرف بأم المساكين ، وجويرية[١٠] بنت الحارث من بني المصطلق ، وواحدة من بني إسرائيل وهي صفية[١١] بنت حيي بن أخطب من بني النضير .

ومات منهن عنده عليه السلام اثنتان وهما : خديجة وزينب أم المساكين ، وتوفى صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة .

وأما سراريه فقيل إنهن أربع وهن : مارية[١٢] القبطية

(١) توفيت سنة ١٠ من النبوة (٢) توفيت فى المدينة سنة ٥٨ أيام معاوية (٣) توفيت سنة ٤٥ فى أيام معاوية (٤) توفيت فى المدينة سنة ٤٤ أيام اخيها معاوية (٥) توفيت سنة ٥٩ فى أيام معاوية (٦) توفيت بالمدينة سنة ٥٤ فى خلافة معاوية (٧) ماتت فى المدينة سنة ٢٠ فى أيام عمر (٨) توفيت سنة ٥١ بسرف أيام معاوية (٩) توفيت فى حياته سنة ٤ للهجرة (١٠) ماتت سنة ٥٥ أيام معاوية (١١) توفيت سنة ٥٠ فى زمن معاوية (١٢) ماتت سنة ١٦ أيام عمر

أُمُّ ابرَاهيمَ ابْنِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسّلامُ ، وهيَ الّتي أهدَاهَا له المقَوْقِسُ صاَحِبُ الإسكَنْدَرِيّةِ ، ورَيْحَانَة (١) القُرَظِيّةُ ، ووَاحدَةٌ وَهَبَتْهَا لهُ زينبُ بنْتُ جَحْشٍ ، والرّابعةُ أصَابَهـا في بَعْضِ السَّبيِ .

اعمام الرسول ابناء عبد المطلب

أَبو طالبٍ واسْمُهُ (عَبْدُ مَناف) والزُّبيْرُ وحَمْزَةُ (٢) والمُقَوّمُ وأَبو الفَضْلِ العَبّاسُ (٣) (وهوَ أَخوهُ منَ الرّضَاعِ أيْضاً) وضِرَارٌ وَالحارثُ وقُثَمُ وأبو لَهَبٍ (واسْمُهُ عبدُ العُزّى) والغَيْدَاقُ . ولمْ يُسلِمْ منهم إلاّ حَمْزَةُ والعبّاسُ .

عماته عليه السلام بنات عبد المطلب

صَفيّةُ (أُمُّ الزُّبيرِ بنِ العَوّامِ) وعاتِكَةُ والبَيْضاءُ (وهي أُمُّ حَكيمٍ) وبَرّةُ وأُمَيْمَةُ (وهيَ تَوْأمةُ والدِ الرّسولِ أيْ كانتْ معَهُ في بطنٍ واحِدٍ) وأَرْوَى . وأَسلَمَ منهنّ صَفيّةُ واخْتُلِفَ في إسْلامِ عاتِكَةَ وأرْوَى .

(١) ماتت فى حياته سنة ١٠ للهجرة (٢) قتل يوم احد وله تسع وخمسون سنة
(٣) توفى فى خلافة عثمان وله ثمان وثمانون سنة .

أمه من الرضاع وحاضنته

أما أُمُّهُ من الرَّضَاعِ فهي حَليمةَ بنتُ أبي ذُؤَيب السَّعْدِيَّة ، وهيَ التي أرضعتهُ حتى أكملتْ رَضَاعَهُ ، وزَوْجُها أبو كَبْشَةَ .

وأرْضعتهُ أيضاً ثُوَيْبَةُ جارِيَةُ أبي لَهَب (وهيَ التي أعتقَها أبو لهبٍ عندَ ما بَشَّرَتْهُ بميلادِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم) وقد اختلفَ العُلماءُ في إسلامِها وإسلامِ حَليمةَ وزَوْجِها .

وكانتْ حَاضِنَتُهُ أُمَّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ بِنْتَ ثَعلبةَ أُمَّ أُسَامةَ ابنَ زَيْدِ بنِ حَارِثةَ .

أفراسه وغير ذلك

أمّا أفرَاسُهُ فأشهرُها اللِّزَازُ والمرْتجزُ والظَّرِبُ واليَعسُوبُ واليَعبُوبُ . وبَغلتهُ دُلْدُلُ ، وكانتْ شَهْباءَ ، وله غيرُها . وحِمَارُهُ يَعفُورٌ . وناقَتهُ القَصْوَاءُ ، وهيَ التي هَاجرَ عليها . وكانَ له عليهِ السّلامُ خَمسٌ وأربعونَ لَقْحَةً[1] أرسَلَها إليهِ سعدُ بنُ عُبادَةَ ، وكانَ له مِائةُ شَاةٍ وسَبْعةُ أَعْنُزٍ .

وخاتمهُ منْ فِضَّةٍ (وقيلَ منْ حَديدٍ) اتَّخذَهُ يومَ كاتَبَ الملوكَ يدْعوهم إلى الإسلام بعدَ أنْ رَجَعَ منْ خيبرَ ، ونقشُهُ

(١) اللقحة : الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة

« محمدٌ رسولُ اللهِ » في ثلاثةِ أسطرٍ .

وأشهرُ دروعِهِ ذاتُ الفضولِ . وأشهرُ سيوفِهِ ذو الفقارِ ، وأشهرُ خدمتِهِ أنسُ بنُ مالكٍ .

هيئته و بعض أحواله

كانَ عليه الصلاةُ والسلامُ تامَّ الخَلْقِ ، حَسَنَ المَنْظَرِ ، تلوحُ عليهِ سِيما الوَقارِ والهَيْبَةِ ، وكانَ أحسَنَ النّاسِ خَلْقاً ، أبيَضَ الوَجْهِ أزْهَرَ[1] اللّوْنِ ، حَسَنَ الفمِ ، وكانَ عظيمَ الهامَةِ[2] ، صَلْتَ[3] الجبينِ ، أزَجَّ[4] الحاجبيْنِ، عظيمَ الجبهَةِ، أهدَبَ[5] الأشفارِ، أدعَجَ[6] العَيْنينِ، أنجلَهما[7]، أقنَى الأنفِ[8]، أسيلَ[9] الخَدَّيْنِ ، كثَّ[10] اللّحيَةِ ، وكانَ شَثْنَ[11] الكفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ، عَبْلَ[12] الذِّراعينِ ، رَحْبَ الكَتِفينِ ، واسعَ الصّدْرِ ، وكانَ ليْسَ بالطّويلِ ولاَ القَصيرِ ، وهوَ إلى الطُّولِ أقْرَبُ ، وكانَ

(١) أى أبيض مشرق الوجه (٢) الهامة الرأس (٣) الجبين الصلت هو الاملس البراق (٤) أى دقيق الحاجبين من غير قرن ، هذا هو المشهور ويروى انه كان مقرون الحاجبين وبه وصفه علي رضى الله عنه (٥) الاهدب : تام الهدب والهدب : مانبت من الشعر على أشفار العين والاشفار : جمع شفر بضم الشين وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر (٦) أى شديد سوادهما مع سعتهما (٧) الانجل واسع العينين (٨) أى محدود به (٩) الخد الاسيل هو اللين المستطيل بلا ارتفاع الوجنة (١٠) كثيفها (١١) أى غليظ أصابعهما (١٢) أي ضخمهما .

شعرُهُ لا رَجْلاً [١] ولاَ سَبْطاً [٢] ولاَ جَعْداً ولاَ قَطِطا [٣] وكانَ بينَ أُذنيْهِ وعاتِقِهِ ، وفي روايةٍ إلى أنصافِ أُذُنيْهِ ، وكان يُرَجِّلُهُ [٤] ، وكانَ يُفرِّقُهُ تارةً ويُسَرِّحُهُ أُخرى ، ثمَّ رَجَعَ إلى الفَرْقِ ؛ ولمْ يُرْوَ أَنهُ حلقَ رَأسهُ الشَّريفَ في غيرِ نُسُك حجٍّ أَوْ عُمْرةٍ ، وكانَ في رأْسِهِ ولحيتهِ نحْوُ عشرينَ شعْرَةً بيْضاءَ .

وكانَ حسنَ الصوْتِ يبلُغُ صوْتُهُ حيثُ لاَ يبلُغهُ صوْتُ غيرِهِ ، وكانَ ضحِكُهُ لا يتجاوزُ ظُهورَ نواجذِهِ ؛ وكان أكثرُ ضحِكهِ التبسُّمَ .

وكانَ مَشيُهُ تَكفُّؤاً [٥] كأنّما يَنحطُّ منْ صَبَبٍ [٦] وكانَ إذا وَطِئ بقدَمهِ وطئَ بها كلِّها .

وكانَ إذا التفتَ يلتفِتُ بجَميعِ بدَنِهِ لا بوَجْهِهِ وحدَهُ ، وكانتِ الرَّائحةُ الطَّيِّبةُ صِفتَهُ وإنْ لمْ يَمسَّ طيباً . ولمْ يَتثاءَبْ ولمْ يَتجَشَّ قطُّ .

شمائله وأخلاقه عليه السلام

كما كانَ صلى اللهُ عليه وسلم أكملَ النَّاسِ خَلْقاً كانَ أَكمَلَهُمْ

(١) أى كان غير جعد (٢) أى غير مسترسل (٣) القطط هو القصير الجعد
(٤) يمشطه (٥) التكفؤ : الميل الى سنن المشي وهو ان يمشي هونا كما تمايل النخلة
(٦) الصبب : المكان المنحدر

خُلُقًا، وأَعلاهمْ مَزيةً، وأَسْماهُمْ عقْلًا، محبًّا للفقَراء، رَؤُوفًا بالنَّاس رَحيمًا بهمْ، لاَ يَنفرُ منهُ جليسهُ، وكانَ إذا حضرَ مجْلسًا جلسَ حَيثُ ينتهي بهِ المجْلسُ، وكانَ أصحابُهُ لاَ يقفونَ له عِندَ حُضورهِ لأَنهمْ يَعلمونَ منــهُ كرَاهتَهُ لذلك، يَغضبُ إذا انْتهكتْ حرُماتُ اللهِ، ولاَ يغْضبُ لِنفْسهِ، ولاَ ينْتقمُ ممَّنْ أَذاهُ، بلْ يَعْفو عنْهُ ويَصفحُ، قالت عائِشةُ: «ما رَأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم منتَصِرًا منْ مَظلمةٍ ظُلِمهَا قطُّ ما لمْ تَـكنْ حرْمةً منْ محَارمِ اللهِ تعالى، وما ضَرَبَ بيدهِ شيئًا قطُّ إلاّ أَنْ يجَاهِدَ فى سَبيلِ اللهِ. وما ضَرَبَ خادِمًا ولا امْرأةً» ورَوَى البُخاريُّ عنْ أنَسِ بنِ مَالكٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «لمْ يَكنِ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ سبَّابًا ولاَ فحَّاشًا ولا لعَّانًا، كان يقولُ لأحدِنا عِندَ المَعْتَبةِ[1] مالَهُ تربَ جبينُهُ[2]».

وكانَ شديدَ الخَوفِ منَ اللهِ، كَثيرَ الخَشْيةِ على عُلوِّ منْصبهِ ورَفيعِ رُتبتهِ، وقدْ غفرَ اللهُ له ما تقدَّمَ منْ ذَنْبهِ وما تأخرَ[3]. وكانَ شجاعًا قويًّا جوادًا كريمًا، إلى غيرِ ذلكَ منَ

(١) المعتبة: العتاب (٢) ترب جبينه: هي كلمة جرت على لسان العرب لا يريدون حقيقتها وهو التصاقها بالتراب. والمراد بها فى كلام الرسول دعاء لمن يعاتبه بالطاعة أى يصلى فيترب جبينه أى يلصق بالتراب (٣) «مبحث عصمة الأنبياء عن الذنوب» علم انه مما يجب اعتقاده أن الانبياء عليهم السلام منزهون عن الصغائر والكبائر .

الأَخلاق العَالية والأَوصاف الكريمة التي كانت صفة غريزية فيه صلى الله عليه وسلم . وكان خُلقه القرآن ، فكما أن معاني القرآن يكلُّ الوصفُ عنها فكذلك أوصافه الكريمة يعجز القلم واللسان عن نعتها ، ومن أحبَّ التوسُّع في ذلك فعليه بالكتب المؤلفة في هذا الموضوع ، فإن فيها العجب العُجاب .

« فائدة » حُسْنُ الخلق هو مَلَكة نفسانية يسهل على المتصف بها أن يأتي بالأَفعال الجميلة .

معيشته صلى الله عليه وسلم

كانَ الرسول لم يشبع من طعام قط ، وكان ينهي عن الشبع لما فيه من إذهاب الفطنة وجلب الأَمراض وتثقيل المعدة ، فإن المعدة بيت الداء ، وأكثر الأَمراض ناشيء من امتلاء البطون بالمآكل ، كما قال الشاعر :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراهُ　　يكون من الطعام أو الشراب

لكن قد ورد في القرآن الكريم نسبة بعض الذنوب لبعض الانبياء . فظن من لا روية له ولا دراية أنها معاص حقيقية وذنوب وقعت منهم البتة . ومن أوتي الانصاف والفهم يعلم أن ما نسب اليهم من المعاصي صادر اما عن نسيان واما عن اجتهاد واما انه ليس من الذنوب قطعاً وانما هو من باب الامر الصغير يستكبر من العظيم . فكانوا عليهم السلام كثيراً ما ينسبون الذنب لانفسهم وهو لم يخرج في الحقيقة عن باب المباحات أو المكروهات وانما عدها الله عليهم ذنوباً نظراً لشرف رتبتهم وعلى مناصبهم . وفي الحقيقة ان ذنوب الانبياء كحسنات الصالحين من سائر الناس .

نموذج من معجزاته

المُعْجِزَةُ أمرٌ خارِقٌ للعادَةِ يُظهِرُهُ اللهُ على يَدِ مُدَّعى النُّبُوَّةِ تأييدًا لدَعْوَاهُ

والمُعْجِزَةُ قِسْمانِ : مَعْنَوِيَّةٌ وَحِسيَّةٌ . فالأُولى يَعْرِفُها ويُصَدِّقُ بِها ذَوُو البَصائِرِ النَّيِّرَةِ والعُقُولِ السَّليمَةِ ، وهِيَ عِبارَةٌ عَمَّا انْطَوَى عليهِ ذلِكَ النَّبيُّ من الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ والمزايا السامية ، وماعُرِفَ بِهِ مِنَ العَمَلِ بِمُقْتَضَى الحَقِّ ،والسيرِ في جادَّةِ الصدقِ ، وما يَلوحُ عَلَيْهِ من الإماراتِ الدَّالَةِ على صِدْقِ مدَّعاهُ

وَالثَّانيةُ يَطْلُبها مَنْ لم تَصِلْ رُتْبَتُه إلى إدراكِ صِدْقِ الرسول بمُجَرَّدِ الاطِّلاعِ على أحْوالهِ وأَخْلاقِه ولم تَرْتَفِعْ بَصيرَتُه وعقلُه إلى مَقامِ تِلكَ المعرِفَةِ

وَقد كانَ لرسولنا صلى الله عليه وسلم الحظُّ الأَوْفَرُ مِنْ كِلتَا المُعْجِزَتَيْنِ : المَعْنَوِيةِ والحِسيَّةِ ، أما الأُولى فقد عَرَفْتَ جُزْءًا يَسيراً جدًّا منها في النُّبْذَةِ السَّابقة . والآنَ نوردُ عليكَ بعضًا يَسيراً أَيضاً منْ مُعْجِزاتِه الحِسيَّةِ .

فَمِنْها انْشِقاقُ القَمَرِ له نِصفَيْنِ ، وَقَدْ طلبَتْ مِنْهُ العَرَبُ ذلكَ ، فأشَارَ عليهِ السلامُ بإصبَعِه إلى القَمَرِ فَشُقَّ

فَلْقَتَيْنِ[1] وقد رآه القَاصى والدَّانى . وقَدْ ذَكَرَتْ هذه

(١) وقد ذكرت بعض الجرائد الاجنبية مقالة عربتها جريدة الاتساد العربية التى كانت تطبع فى قسطنطينية حاصلها: انه عثر فى ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه أنه بنى عام كذا الذى وقع فيه حادث سماوى عظيم وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه « من هامش باكورة الكلام على حقوق المرأة في الاسلام »

أقول قدعلمت ان هذه المعجزة ذكرت في القرآن والقرآن كما لا يخفى على ذى بصيرة منقول الينا نقلا متواتراً لايتطرق اليه الشك والريب فهى بلا شك كانت تتلى على رؤوس الناس من مؤمن وكافر فلو لم يكن الانشقاق صحيحاً بل كان مجرد كذب لنقل إلينا ولو عن المخالفين لنا . اما ولم ينقل أحد المعارضة فى ذلك فهى مسألة حقيقية لامرية فيها لان أعداء الدين فى ذلك الوقت كانوا له بالمرصاد يتطلعون اليه ليروا له هفوة أو غلطة ليأخذوا بها عليه . وكيف يمكن ذلك والقرآن كلام الله . ولما أظهرت الطبعة الاولى من كتابنا هذا ورد الينا كتاب من أحد أعلام العلم يأخذ فيه علينا اعتمادنا لمعجزة انشقاق القمر لانها تخالف قواعد علم الفلك فأجبناه على ذلك بما يأتى :

معجزة انشقاق القمر لم يدعنى الى الجزم بها الا سياق الآيات وما ألهمنى الله فهمه منها . ولم أقلد بذلك رأياً ولا ماورد فيها من الاخبار وان جزمت طائفة من العلماء بتواتره ، ثم زادنى يقيناً ان قرأت عنها ماقرأت من الاثر التاريخى الصينى وقد نقلته فى السيرة . وقوله تعالى : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » بعد ذكر الانشقاق يؤيد ذلك وانه حصل ويبعد حمله على الاستقبال كما قالت طائفة من المفسرين كالزمخشرى والبيضاوى والالوسى وغيرهم . وأما أن الحكم بذلك يرد عليه كثير من قواعد العلم الفلكى الجديد فلا يخفى على الاخ الفاضل أنها من قسم الخوارق التى يستدعى الدين الاعتقاد بها اجمالا ؛ فالاعتقاد بها والاعتقاد بالاسراء واحياء الموتى وانفلاق البحر سواء فما يرد عليها من قواعد الفلك يرد عليهما من قواعد الطبيعة ، والمخلص من ذلك كله أن للطبيعة خوارق والطبيعيون أنفسهم لايستطيعون انكارها بل يثبتونها ويقرون بجهل سرها ويسمونها بفلتات الطبيعة . وأن لهم من تلك الخوارق أكثر ما للمليين غير أنهم يرون القذى فى أعين غيرهم وأعينهم ملأى بالحجارة ، بل أشهر علمائهم يقر بأنهم الى الان لم يكتشفوا كثيراً من اسرار الطبيعة وأن هناك أشياء وراء الطبيعة لايستطاع حلها، أقول لم يدعنى الى الاعتقاد بها تقليد أو آحاد الاحاديث وانما سياق الآيات يثبتها وما صح من الروايات يعضدها فلذا جزمت بها . وان رأيتم رأياً فى الموضوع فابعثوا به الى لانى وايم الله أحب الانتقاد لان فيه من الفوائد مالا يكاد يحصى

المُعجِزَةُ العظيمَةُ في القرآنِ الكريمِ في قولهِ تعالى : « اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ » .

وَمِنْها نَبعُ الماءِ منْ بَينِ أصابعهِ عِنْدَ ما وَضعَ يَدَهُ الشريفةَ في إناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ حين اشتدَّ العطشُ بالصحابةِ الكرامِ ، وقد كانوا في السفرِ

ومنها تكثيرُ الطَّعامِ القليلِ وكانوا مسافرين أيضاً

. وقد بَصقَ يومَ خيبرَ في عَينَيْ عليِّ بْنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه وكان بهما وَجعٌ وَدَعا له فبرأَ حتَّى كأنْ لم يكنْ بهما وَجعٌ كما في الصحيحين[1] . وأعظمُ معجزاته وأولاها بالدّلالةِ على صِدْقهِ هوَ القرآنُ ، كِتَابُ اللهِ الذي لا يأتيهِ البَاطلُ منْ بينِ يَدَيْهِ ولا منْ خلْفهِ ، ذلكَ الكتابُ الذي أخرَسَ الفصحاءَ ، وَأسكَتَ البلغاءَ وَحيَّرَ الفلاسفة ، وَأدْهشَ السَّاسةَ ، وخلَبَ عقولَ العلماء، ذلكَ هوَ القرآنُ الذي سَجدَتْ له العرَبُ وَعجزَتْ عن معارَضتِهِ ، بلْ عنِ الإتيانِ بأقصَرِ سورَةٍ منْ مثلِهِ . فلمّا علموا أنْ لا طاقةَ لهم بذلك عمَدُوا الى السيْفِ والسِّنانِ ، وتركوا المعارضَةَ باللسانِ ... فَفيهِ منَ العلمِ الباهرِ ، والفلسفَةِ المُدْهشةِ

(١) راجع مقدمة ديوان شعرنا المسمى « ديوان الثلاثيني » فان فيه شيئاً عن القرآن الكريم تصبو اليه نفس الاديب .

والإرشادِ الصحيح ، ما يقفُ عندَه كلُّ إنسانٍ حائراً . وفي الجملةِ فقدْ حوَى مافيهِ الهدايةُ لسعادةِ الدارَينِ وهناءِ الحياة .

فصاحته عليه السلام

كانَ الرسولُ أفصحَ الناسِ ، وأحلاهُمْ منطقاً وأعذبَهُمْ كلاماً ، وأحسنَهُمْ بياناً . وكان لايسردُ الكلامَ سرْداً بلْ كان يتأنَّى فيهِ بحيْثُ لوْ عدَّهُ عادٌّ لأحْصاهُ . وقدْ وردَ أنَّه كانَ يعيدُ الكلمةَ ثلاثاً لتفهمَ عنه . وكانَ يكلِّمُ العرَبَ كلَّهَا علَى اختلافِ لغاتِهَا ، حتَّى قالَ له عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ الله عنه : إنَّكَ تُكلِّمُ العرَبَ بلسَانٍ مانفهمُ أكثرَه .

شيء من جوامع كلمه وحكمه

تكلَّمَ الرَّسولُ بكلامٍ كثيرٍ ، وَخاضَ في مَواضيعَ وافرةٍ وقد دَوَّنَ الرُّواةُ منْ ذلك شيئاً كثيراً كانَ السبَبَ في حِفظِ مَسائلِ الدِّينِ . ومنْ كلامهِ ماهوَ موجزُ اللفْظِ كثيرُ المعاني . وإنَّا ذاكرون لكَ إنْ شاءَ اللهُ شيئاً منْهاومنْ بعْضِ حِكَمهِ المختَصَرَةِ . وَقدْ رَتّبنَا ذلِكَ على حروفِ الهجاءِ [1]

الهمزة

أَسلِمْ تَسلَمْ — إنّمَا الأَعمَالُ بالنِّيَّاتِ — إياكُمْ وَخَضرَاءَ الدِّمَنِ [2] : المَرْأَةَ الحَسنَاء في منْبتِ السُّوءِ — أَيُّ داءٍ أَدْوَى [3] منَ البخْلِ — إنّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا ، وَإنَّ مِنَ العلمِ جَهْلاً ، وَإنّ مِنَ الشّعْرِ لحِكَما — استَعينوا على الحاجاتِ بالكِتمانِ ، فإنّ كلَّ ذِي نِعمَةٍ محْسودٌ — إنّ مِمَّا ينبِتُ الرَّبيعُ

(١) « تنبيه » ينبغى للاستاذ أن يرغب التلاميذ في حفظ هذه الاحاديث عن ظهر قلب مع تفهيمهم اياها بقدر الامكان حتى تنغرس فيهم الفضيلة فتثمر العمل الصالح .

(٢) الدمن جمع دمنة وهى الآثار التى يتركها القوم بعد الرحيل من بعر وأوساخ وغيرها ، يحذرهم من النبات الاخضر الذى يروق الناظر لكنه نابت بين الدمن وهى الاقذار والاوساخ ، أى لاتغتروا بمنظره الحسن قبل البحث عن منبته . ثم بين أن المراد بخضراء الدمن هى المرأة الحسناء فى منبت السوء أى لاينبغى الاغترار بالمرأة الحسناء وجمالها الظاهرى قبل البحث عن جمالها الباطنى الحقيقى وفى أى منشأ نشأت وأى خلق تعودت

(٣) أى اشد داء

مايَقتُلُ حَبَطًا [١] أَوْ يُلِمُّ — إِنَّكم لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِأَخْلاقِكُمْ — إِنَّ هذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فأَوْغِلْ [٢] فيهِ برِفْقٍ ، وَلاَ تبغِّضْ لِنَفْسِكَ عِبادَةَ الله ، فإِنَّ المُنْبَتَّ [٣] لا أَرْضًا قَطَعَ ، ولاَ ظَهْرًا أبقَى — إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحدٌ إلاّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدوا [٤] وقارِبُوا — الاقْتِصادُ فى النَّفَقَةِ نِصفُ المَعيشَةِ ، والتَّوَدُّدُ الى الناس نِصفُ العَقْلِ ، وحسنُ السؤَالِ نِصفُ العلمِ . — أَدِّ الأَمانَةَ إلى من ائْتمنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ — الْتَمِسُوا الرِّزْقَ فى خَبايا [٥] الأَرْضِ — أخسَرُ الناسِ صَفقَةً مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بدُنْيا غَيرِهِ — إنَّ من كُنُوزِ البِرِّ كِتْمانَ المَصَائِبِ . — إنَّ مِمّا أَدْرَكَ النَّاسُ من كلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى : إِذا لمْ تَستَحِ فَاصْنَعْ ماشئْتَ . إِيَّاكَ ومَا يُعتَذَرُ مِنهُ .

(١) الحبط انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت - ويلم: معناه يقرب أى يقرب من القتل والهلاك - هـذا مثل لمن انهمك فى جمع المال من حله وغير حله ومنع ماوجب عليه اخراجه منه وترك مافرض الله عليه (٢) أوغل : الايغال السير السريع وتوغل فى الارض سار فيها وأبعد (٣) المنبت هو المنقطع والمراد به المنقطع عن رفاقه فى السفر الذى يحمل دابته على مالا تطيقه من السير رغبة فى الاسراع ليصل الى غايته فينقطع ظهرها تعباً فلا تقدر على السير فينقطع هو فى الطريق فيكون حينئذ ماقطع الارض التى أرادها ولا أبقى ظهر دابته سالماً فكذلك من يجهد نفسه فى العبادة ويتنطع فيها فلا يلبث أن يملها ويبغضها ، فلا هو بلغ المقصود من ارضاء الله ولا أبقى نفسه فى الراحة (٤) سددوا : توسطوا لان التوسط فى الامور هو السداد والصواب

(٥) المراد التمسوه بالحرث والزرع

— إيّاكَ وقرينَ السُّوءِ فإنّكَ به تُعْرَفُ . — أخسَرُ النّاسِ صفقةً مَنْ أَخلَقَ[1] يَدَيْهِ في آمالِهِ ، ولمْ تُساعِدْه الأيّام عَلى أُمنيّتِهِ فخَرَجَ منَ الدُّنيا بغيرِ زادٍ ، وقدِمَ على اللهِ بغيرِ حُجّةٍ .

الباء

أَلبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ[2] . — البيّنةُ على المُدَّعِي واليمينُ عَلى المُدّعَى عَليهِ[3] . — بُعِثْتُ رَحمةً ولم أُبعَثْ لعّانًا . — البِرُّ ما سَكَنَتْ إليهِ النفُوسُ . — بُعِثْتُ لِأُتمِّمَ مَكارِمَ الأَخلاقِ بَرِيءَ منَ الشُّحِّ[4] مَنْ أَدَّى الزَّكاةَ ، وَقَرَى[5] الضّيفَ ، وأَعطى في النّائبةِ . البِرُّ حُسْنُ الخُلقِ ، وَالإِثْمُ ماحاكَ[6] في صدْرِكَ وَكَرِهْتَ أنْ يَطّلعَ عليهِ النّاسُ . — بِرُّوا آباءَكُم[7] تَبَرَّكُم أَبناؤُكُمْ .

التاء

تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِجَمالِها ومالِهَا ودِينِها وَحَسَبِها ، فَعليكَ

---

(١) أخلق : أبلى (٢) ذكر الميداني في الامثال انه من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذكر الصغاني أنه من الموضوعات ، والصحيح أنه من كلام الرسول وقد رواه الضبي بهذا اللفظ ورواه أبو داود الطيالسي بلفظ البلاء موكل بالقول (٣) جاء في شرح ديوان أبي العلاء سقط الزند أن أول من نطق بذلك قس بن ساعدة غير أنه قال : واليمين على من أنكر ، والحديث رواه الترمذى (٤) الشح : البخل (٥) قرى الضيف أي أضافه (٦) أي أثر (٧) بروا آباءكم أي احسنوا اليهم .

بذاتِ الدِّينِ [١] تَرِبَتْ يَدَاكَ [٢] . — تَرْكُ الشَّرِّ صدَقَةٌ . — تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحدٌ على أحدٍ . — تَنَقَّهُ وتَوَقَّهُ « يعنى تَنَقَّ [٣] الصَّدِيقَ واحْذَرْهُ » . — تَهادَوْا تَحَابُّوا . — التَّوْبَةُ تَهدِمُ الحَوْبَةَ [٤] التدبيرُ نصفُ العيش .

الثاء

ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ فهوَ مُنافقٌ : وإنْ صامَ وصَلَّى وَحَجَّ واعْتمَرَ وقالَ إنِّى مُسْلِمٌ : إذا حَدَّثَ كذَبَ ، وإذا وَعدَ أَخْلَفَ ، وإذَا ائْتُمِنَ خانَ . — ثلاثٌ مَنْ جَمَعهُنَّ فقَدْ جَمَعَ الإيمَانَ : الإنْصَافُ منْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلامِ للعالَمِ ، والإنْفَاقُ فِى الإقْتَارِ [٥] .

(١) من يرغب فى الزواج بامرأة فانما يرغب فيه لامور : اما لمالها أو حسبها أو جمالها أو دينها ، فالرسول يحذر أن يتزوج الانسان بغير صاحبة الدين والاخلاق الشريفة فان اجتمع مع ذلك الحب والجمال والمال فتلك نعمة فاضلة ، أما ابتاء الجميلة أو صاحبة المال أو الحسب على صاحبة الدين فذلك خطء كبير كما يفعله أكثر الناس اليوم .
(٢) قوله عليه السلام : تربت يداك هذه من الكلمات التى جاءت عن العرب صورتها الدعاء على الانسان ولا يراد بها ذلك بل المراد بها الحث على الشئ والتحريض عليه واصل معنى ترب افتقر . (٣) أى إذا أردت أن تتخذ صديقاً فتخيره ولا تسرع فى صداقته ، ومع ذلك فتيقظ منه واحذره ولا تبح له بجميع اسرارك فربما صار عدوا لك يوما ما . (٤) الحوبة : الذنب ، والتوبة التى تهدم الذنوب وتكفرها هى التوبة النصوح وهى الندم على الذنب حين يفرط من الانسان فيستغفر الله تعالى ثم لا يعود اليه أبداً . أما من يتوب على نية الرجوع أو يتوب من الذنب ثم يرجع اليه ثم يتوب ثم يرجع وهلم جرا فهو ممن لا تقبل لهم توبة واعلم أن الذنوب التى يكفرها الله بالتوبة إنما هى الحقوق الالهية ، أما حقوق المخلوقين فلا تغفر الا اذا تجاوز عنها صاحبها
(٥) أى فى حالة الفقر وهو نهاية الكرم ، وقد ورد : أفضل الصدقة جهد المقل

الجيم

جَدَعَ[1] الحلالُ أَنفَ الغَيْرَةِ — الجارُ قبلَ الدَّارِ — جمالُ الرَّجلِ فصاحةُ لِسانِهِ — الجَنَّةُ تحتَ أقدامِ الأمَّهاتِ — جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحسَنَ إليها وبُغضِ مَنْ أَساءَ إليها.

الحاء

حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهواتِ، وحُجِبَتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ — الحَرْبُ خَدْعةٌ — حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ — حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإيمانِ — الحِكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ[2] يلتقطُها حيثُ وجدَها. — الحَياءُ مِنَ الإيمانِ. — الحياءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. — الحَلِفُ حِنثٌ[3] أو نَدَمٌ. — الحَزْمُ أنْ تُشاوِرَ ذا رأيٍ ثمَّ تُطيعَهُ.

الخاء

خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِهِ[4]. — الخُلُقُ السَّيِّءُ يُفسِدُ العَمَلَ

(١) جدع: قطع قال ذلك الرسول ليلة زفت ابنته فاطمة على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ذكر ذلك الميداني في امثاله (٢) الحكمة العلم وضل الشيء فهو ضال بمعنى ضاع، اي ان العلم بمنزلة ضائع للانسان فيأخذه ممن وجده معه أيا كان وقد ورد «خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت» : (٣) الحنث الحلف في اليمين
(٤) اي لزوجته «اولاهل بيته» وتمام الحديث «وانا خيركم لاهلي» لانه ورد انه عليه السلام لم يضرب زوجة ولا شتمها.

كما يُفسِدُ الخلُّ العسلَ . — الخلقُ كلهمْ عيالُ اللهِ وأحبهم إليه أنفعهمْ لعياله . — خيرُ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسَنُ إليه . — خالِق الناس بخلق حسن . — خذوا على أيدي سفهائكم قبلَ أن يهلكوا أو يُهلِكوا . — خيرُ الناس أحسنهم خلقاً .

الدال

الدُّنيا عرَضٌ حاضرٌ يأكلُ منها البرُّ والفاجرُ ، والآخرةُ وعدٌ صادق ، يحكمُ فيها مَلِكٌ عادلٌ ، يُحِقّ الحَقَّ ويُبطِلُ الباطلَ فكونوا أبناءَ الآخرةِ ولا تكونوا أبناءَ الدُّنيا [1] فإنّ كل

(١) ليس المراد انه ينهاهم عن الدنيا البتة وأن يتركوها قطعاً واعا نهاهم ان يجعلوها مقصودة بالذات وارشدهم ان يتخذوها وسيلة للآخرة وقنطرة يجوزونها اليها ، والقرآن والاحاديث طافحان بما يحث الانسان على الكسب والعمل قال تعالى : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة » وقال صلى الله عليه وسلم : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً » والزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو أن لايفتتن بزخارفها ويميل الى ملذاتها ويصبو الى مشتهياتها ان كان شيء من ذلك يضر بأمر الدين ، وأن يكون ماعنده من الاموال في يده لافي قلبه بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دعي الى ذلك ، لاأن يهمل الاشتغال والاعمال ويكون كلا على العباد . وقد ورد في الحديث « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فان الدنيا بلاغ الآخرة ولا تكونوا كلاً على الناس » على أن من راجع تاريخ الصحابة يعلم أن منهم من كان عنده من الاموال القناطير المقنطرة والانعام والخيول الخ لكنهم متى وجدوا حاجة الى انفاق شيء منه وجدت أحدهم أسرع الى ذلك من السهم الى هدفه .

أُمٍّ يَتْبَعُهَا وَلَدُهَا . — الدَّالُّ على الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ، والدَّالُّ على الشَّرِّ كَفَاعِلِهِ . الدَّيْنُ مَقْضِيٌّ والزَّعِيمُ غَارِمٌ [١] . الدِّينُ النَّصِيحَةُ . — دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلى مالاَ يُرِيبُكَ [٢] . — دَعْ قِيلَ وقَالَ وكَثْرَةَ السُّؤَالِ وإِضَاعَةَ المالِ . — دَعْوَةُ المَظْلُومِ لاَتُحْجَبُ . — دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً [٣] .

الذال

الذَّنْبُ لاَ يُنْسَى ، وَالبِرُّ لاَ يَبْلَى ، والدَّيَّانُ لاَيَموتُ فكُنْ كَمَا شِئْتَ . — ذَرُوا المرائِيَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ .

الراء

الرَّفِيقُ قَبْلَ الطريقِ . — الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ . — رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ تعالى . — الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالخُرْقُ [٤] شُؤْمٌ . — رَحِمَ اللهُ أَمْرَأً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ . الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمنُ . — الرِّفْقُ فى المَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجَارَةِ [٥]

(١) الزعيم : الكفيل ، وغارم أى ملزم بدفع الدين عمن كفله . (٢) أى اترك ماتشك فيه وتشتبه وافعل مالاريبة فيه ولاشك . (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي عليه الصلاة والسلام مديوناً لرجل يهودى فتقاضاه فى طلب دينه فأغلظ عليه فقصد أصحابه الى زجره فقال عليه الصلاة والسلام : دعوه فان لصاحب الحق مقالا . المراد بالحق هنا الدين (٤) الخرق الحمق وهو ضد الرفق (٥) اذا كان مورد الانسان من الرزق قليلا فاستعمل الحكمة فى النفقة فذلك خير له من بعض التجارة ، وذلك فيما لو اكتسب المال من غير وجوهه المشروعة لسد مايتقاضاه من التوسعة فى المعيشة .

الزاى

زُرْ غِبًّا(١) تَزْدَدْ حُبًّا . — زِنْ وَأَرْجِحْ(٢)

السين

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ . — سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ ، وَشِرَارُكُمْ أَسْوَأُكُمْ أَخْلَاقًا . — سَدِّدْ وَقَارِبْ تَنْجُ . سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ . سَيِّدُ الْعَمَلِ الوَرَعُ(٣) . — السَّكِينَةُ مَغْنَمٌ وَتَرْكُهَا مَغْرَمٌ(٤)

الشين

شِرَارُ النَّاسِ الذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ . — شِرَاكٌ مِن نَارٍ « قاله للغَالِّ(٥) » . — شَرُّ النَّاسِ مَنِ اتُّقِيَ مَجْلِسُهُ لِفُحْشِهِ . — شِفَاءُ الْعِيِّ(٦) السُّؤَالُ . — شَرُّ الرِّعَاءِ(٧) الْحُطَمَةُ . — شَرُّ بَيْتٍ فِى المسلمينَ بيتٌ فيه يَتِيمٌ يُسَاءُ إليه . — الشِّعْرُ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ .

الصاد

صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِى مَصَارِعَ(٨) السُّوءِ . — وصَدَقَةُ البِرِّ

(١) الغب في الزيارة ان تزور مرة فى كل أسبوع (٢) زن : أمر من الوزن ، أى اذا وزنت فأرجح الوزن كيلا تقع فى إنقاصه . (٣) الورع ، التقوى والتحفظ من الشبهات خوف الوقوع فى المحرم (٤) المغرم: فى الاصل الغرامة وهو ما يلزم اداؤه والمراد بالمغرم هنا الخسارة (٥) الغال الخائن (٦) العى : عدم الاهتداء لوجه المراد . (٧) الرعاء جمع راع وهو من تولى أمر البهائم من رعى وغيره، الحطمة : الراعى الظلوم . والحطمة فى القرآن الشديدة من النيران أو اسم لجهنم والكلام مثل لمن يتولى أمراً فيقوم فيه بالشدة والعنف والظلم . (٨) مصارع : جمع مصرع وهو

تطفئ غضب الربِّ . وصلة الرحم تزيد فى العمر . الصمت حكم[1] وقليل فاعله . — صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك . الصبر عند الصدمة الأولى . — الصبر مفتاح الفرج

الضاد

الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة[2] :

الطاء

الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء . الطهور شطر الايمان[3] . طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

الظاء

الظلم ظلمات يوم القيامة ، — الظن أكذب الحديث ظلم الغنى المطل . — ظلم الأجير أجره من الكبائر .

اسم مكان من الصرع وهو الطرح أى صنائع المعروف تحفظ الانسان من مواقع الشر

(١) الحكم : أصل معناه المنع ومثله الحكمة ، وجعل النبى الصمت حكماً لانه يمنع صاحبه من الوقوع فى الاثم والشدة لان سلامة الانسان فى حفظ اللسان

(٢) هذه رواية احمد وغيره وفى رواية البخارى : فما كان وراء ذلك فهو صدقة . وفى رواية ابن أبى الدنيا زيادة عليهم وهى : وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام .

(٣) ليس المراد بالطهور الذى هو شطر الايمان طهارة الظاهر بافاضة الماء عليه وتنظيفه والباطن مشحون بالاخباث . بل المراد به مايشمل طهارة الظاهر وطهارة الجوارح عن اكتساب الآثام والجرائم وطهارة القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة . وطهارة السر عما سوى الله وهى طهارة الانبياء صلوات الله عليهم . هذا تلخيص كلام الامام الغزالى فى شرح هذا الحديث وهو كلام نفيس جداً . راجع تتمة البحث فى الاحياء فى كتاب أسرار الطهارة .

العين

العَفْوُ لا يَزِيدُ العَبْدَ إلاّ عِزًّا ، والتَّوَاضُعُ لا يَزِيدُهُ إلاّ رِفْعَةً وما نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ . — العِدَةُ عَطِيَّةٌ [١] . — العِدَةُ دَيْنٌ [٢] العَالِمُ وَالمُتَعَلِّمُ شريكانِ فى الأَجْرِ . عَلِّمُوا ويَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا ، وإذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ . — عَلَيْكَ بالإِيَاسِ مِمّا فى أَيْدِى النّاسِ . وَإِيَّاكَ والطَّمَعَ فإنَّهُ الفَقْرُ الحاضِر .

الغين

غُضَّ بَصَرَكَ [٣] . — الغَادِرُ يُنْصَبُ له لِوَاءٌ يومَ القِيَامةِ . الغِيبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ . — الغَيْرَةُ مِنَ الإيمانِ [٤] . الغِلُّ [٥] والحَسَدُ يأكلانِ الحسَناتِ كما تأكلُ النّارُ الحَطَبَ .

الفاء

فى كلِّ ذاتِ كَبِدٍ حَرَّى [٦] أَجْرٌ . — فِيكَ خَصْلَتَانِ

(١) أى بمنزلة العطية فلا ينبغي أن يخلف بها كما لا ينبغي أن يرجع الانسان فى عطيته
(٢) أى كالدين فى تأكد الوفاء بها فاذا أحسنت القول فاحسن الفعل ليجتمع لك مزية اللسان ، وثمرة الاحسان (٣) أي غضه عما لا يحل لك . (٤) هذا اذا كانت غيرة الرجل على أهله عند الريبة والشك والا فهى مذمومة . (٥) الغل بكسر الغين هو الحقد وقد يفسر بالغش . (٦) ذات بمعنى صاحبة «الحرى» العطشى مؤنث الحران بمعنى العطشان والمعنى أن الانسان يؤجر على كل عمل خير يعمله ولو بسق الماء للمحتاج من بنى ادم أو غيرهم

يُحِبُّهما اللهُ : الحِلْمُ والأَناةُ(١) . فُكُّوا العَانِي(٢) وأَجِيبُوا الدَّاعِي وأَطْعِمُوا الجَائِعَ وعُودُوا(٣) المَرِيضَ . — في المُنَافِقِ ثلاثُ خِصَالٍ : إذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذَا وَعدَ أَخلَفَ ، وإذَا اؤتُمِنَ خَانَ . — الفَضْلُ في أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

القاف

القَنَاعَةُ مالٌ لا يَنفَدُ ، وكَنْزٌ لا يَفْنَى . — قال عيسى(٤) لِدُوا(٥) لِلْمَوْتِ وابْنُوا لِلْخَرَابِ . — قال داودُ : يازارِعَ السَّيِّئاتِ تَحْصُدُ شَوْكَهَا وحَسَكَهَا(٦) . — قُلِ الحقَّ وإن كان مُرًّا . — قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثمَّ استَقِمْ . — القَنَاعةُ كَنْزٌ لا يَفْنَى . — قُولوا خَيْرًا تَغْنَمُوا واسكُتوا عَنْ شَرٍّ تَسلَمُوا . — قِوَامُ المَرْءِ عَقْلُهُ ولا دِينَ لِمَنْ لا عَقْلَ لهُ . — القُضَاةُ(٧) ثلاثةٌ : إثنانِ في النَّارِ وَواحدٌ في الجَنَّةِ ،

من الحيوانات والبهائم . وقد ورد في الحديث : غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك «ركى : جمع ركية وهي البئر . ويلهث معناه يخرج لسانه من العطش» ولا يخفى ما في قول الرسول هذا من الحث على الرفق بالحيوان والشفقة عليه وقد ورد كثير من الأحاديث الدالة على تأكيد ذلك والحاثة عليه فليستفد منها مشاءه كل من يسعى بإنشاء الجمعيات للرفق بالحيوانات من أهل أوروبا وغيرهم (١) الحلم : العقل . الاناة . الرفق وعدم التسرع (٢) العاني الاسير (٣) عودوا : زوروا (٤) المراد به عيسى بن مريم صلوات الله عليه (٥) لدوا فعل امر من الولادة (٦) الحسك : نبات له شوك . (٧) القضاة جمع قاض وهو الحاكم والمراد به الحاكم بأمر من الامور بين الناس

رَجُلٌ عَلِمَ الحقَّ فقضَى بهِ فهو فى الجنَّة ورَجُلٌ قضى للنَّاس على جَهلٍ فهوَ فى النَّارِ و رَجُلٌ عَرَفَ الحقَّ فجارَ فى الحُكمِ فهوَ فى النَّارِ .

الكاف

الكَيّسُ[1] مَنْ دانَ نَفْسَهُ وَعملَ لِمَا بعدَ الموت. والعَاجزُ مَنْ أتبعَ نفسَهُ هوَاهَا وتمنّى على اللهِ الأَمانىَّ . — كادَ الفقرُ أنْ يكُونَ كُفراً . — كَبُرَتْ خِيانَةً أنْ تحدِّثَ أَخاكَ حديثاً هوَ لكَ بهِ مُصدِّقٌ وأنتَ له بهِ مُكذِّبٌ. كِتابُ اللهِ القِصاص. — كَرَمُ المرْءِ دِينُهُ ، ومُرُوءَتهُ عقلهُ ، وَحَسَبُهُ خلقهُ . كَفَى بالمرْءِ إثماً أنْ يُحدِّث بكلِّ ما سمِعَ . — كلُّ مُسكرٍ حرامٌ . — كلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيَّتهِ . — كما تَدِينُ تُدانُ[2] — كلُّ معروفٍ صدقةٌ .

اللام

ليسَ للعَاملِ منْ عملهِ إلاَّ ما نواهُ . — لا يَجْنِى[3] جانٍ إلاَّ على نفسِهِ . — ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعةِ[4] إنَّمَا الشَّديدُ مَنْ يَملكُ نفسَهُ عِندَ الغضبِ . — ليسَ الخبرُ كالمعاينةِ . — لا ينتطِحُ

(١) الكيس : العاقل . دان نفسه : جازاها على أعمالها وحاسبها على مافرط منها واذلها فى طلب الحق . (٢) أى كما تجازى تجازى بفعلك وبحسب ماعملت (٣) يجنى : يذنب ويجرم
(٤) الصرعة : الذى يصرع الناس ويغلبهم . أى ليس الشديد من يغلب الناس انما الشديد من يغلب نفسه ويملكها عند الغضب

فيهَا عنزَانِ [١] . — لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرجلُ ولدَهُ خيرٌ له من أَنْ يَتَصدَّقَ بِصَاعٍ [٢] . — لَسْتُ مِنْ دَدٍ [٣] ولاَ الددُ مِنّي . — لقَدْ أَوْصَانِي جبْرِيلُ بالجار حتى ظَنَنْتُ تَوْرِيثَهُ [٤] . — لقَدْ شقِيتُ إنْ لم أَعْدِلْ . — لعَنَ اللهُ مَنْ مَثَّلَ بالحَيوان [٥] . — لَعَنَ اللهُ الْمُخَنَّثَ [٦] . — لم يَكْذِبْ مَنْ نَمَّى [٧] بين اثْنَيْنِ لِيُصلِحَ . — لو بَغَى جَبَلٌ على جبَلٍ لَدُكَّ الباغي منهما . — لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ . — لَنْ يَهلِكَ امْرُؤٌ بعدَ مَشُورَةٍ . — ليَس بِمُؤْمِنٍ مَنْ لمْ يَأْمَنْ جاره غَوائِلَهُ [٨] . ليسَ لِأَحدٍ فَضْلٌ على أَحدٍ إلاَّ بدِينٍ أو عملٍ صالحٍ . — ليس مِنّي إلاَّ عالِمٌ أو مُتعلِّمٌ . — لا عقلَ كالتَّدْبِيرِ ، ولا ورَعَ كالكَفِّ [٩] ، ولا حسَبَ كحُسْنِ الخلُق لا إيمَانَ لمَنْ لا أَمانةَ لهُ ، ولا دِينَ لِمَنْ لا عهدَ له . — لا فقرَ

(١) أي لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع . وهو مثل يضرب لما لا ينبغي الكلام فيه لأنه معروف (٢) الصاع : الذي يكال به وهو أربعة أمداد والمد رطل (١٣٨ : ثمانية وثلاثين ومئة درهم من دراهم اليوم .

(٣) الدد : اللهو واللعب . (٤) هذه رواية الطبراني . وفي رواية البخاري : مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . (٥) مثل بالحيوان : نكل به . والتنكيل به أن يقطع نحو اذنه ويده وانفه (٦) المخنث الذي يتشبه بالنساء باللين والتكسر ورخامة الصوت واللباس . (٧) نمى : قال في مجاز الاساس : نميت الحديث الى فلان رفعته وأسندته ويقال نميت الحديث بلغته على جهة الاصلاح ونميته « بتشديد الميم » بلغته على جهة الافساد اه . ومعنى الحديث ان من يسند كلاماً الى اخر لم يقله ، للاصلاح بين الناس فليس بكاذب (٨) غوائله : أي أضراره ومساويه . والغوائل في الاصل المهلكات

(٩) أي كالامتناع عن المعاصي

أشدُّ مِنَ الجَهلِ ، ولا مالَ أعزُّ من العَقلِ ، ولا وَحشةَ أشدُّ مِنَ العُجبِ [١] . — لا تُظهِرِ الشَّماتَةَ بأخيكَ ، يُعافيهِ اللهُ وَيبتَليكَ لا يَدخلُ الجنَّةَ قَتّاتٌ [٢] . — لا يَقضِيَنَّ حَكَمٌ بينَ اثنينِ وَهوَ غَضبانٌ . — لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتّى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لِنفسِهِ لا يُلدَغُ [٣] المؤمنُ من جُحرٍ [٤] مرّتينِ . — لا توكِي [٥] فيُوكى عليكِ ، إرضَخي [٦] بما استَطعتِ . — لا ضَرَرَ [٧] ولا ضِرارَ لا تُحصي [٨] فيُحصى عليكِ .

الميم

المرءُ مع مَن أحبَّ — المجالِسُ بالأمانةِ [٩] — المستَشارُ

(١) لأن المعجب بنفسه المتكبر على غيره تنفر منه الناس فيعيش منفرداً لذلك
(٢) القتات : النمام وهو من ينقل أحاديث الناس الى غيرهم (٣) لا يلدغ : رواه الميداني في الامثال بلفظ لا يلسع ومعناهما واحد، والجحر : لنحو الحية مكان مبيتها . أي اذا لسع الانسان من جحر حية فلا يتعرض له مرة أخرى وهو مثل يضرب لمن نكب أو أصيب مرة بعد أخرى (٤) الجحر . كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها وجمعه جحرة وأجحار (٥) لا توكي أي لا تبخلي بما عندك وتمنعيه . يقال اوكى على ما في سقائه اذا شده بالوكاء وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة . أي لا تربطي على ما عندك من الرزق بمعنى لا تمتنعي عن التصدق به خوفاً من نفاده فيوكى عليك أي ينقطع عنك مادة الرزق
(٦) ارضخي : الرضخ العطاء اليسير أي أعطي وانفقي ما استطعت من غير تبذير ولا تقتير
(٧) المعنى لا ضرر للنفس ولا اضرار بالغير . أي لا تفعل ما يضر بك ولا بغيرك
(٨) لعل المعنى : لا تحصي على الناس زلاتهم . أي لا تؤاخذهم بما يفرط منهم من الهفوات . بل عاملهم بالاغضاء عن زلاتهم والسماح عن هفواتهم . ولا تعدى عليهم ذلك فيحصي الله عليك ذنوبك ويعاملك بمثل ما تعاملهم به عباده . أو أن المعنى : لا تحصي ما تجود به من الاحسان الى الناس فيحصي الله عليك . (٩) أي فلا يجوز افشاء ما دار فيها من الكلام واذاعته بين غير أهله

مُؤْتَمَنٌ (١) — مَنْ أَبطأَ بهِ عملُهُ لم يُسْرِعْ بهِ نَسَبُهُ (٢) — ما حاكَ في صَدْرِكَ فَدَعْهُ (٣) . ما خابَ مَنِ استخارَ (٤) ، ولا نَدِمَ مَنِ استشارَ ، ولا عالَ مَنِ اقتصدَ (٥) . مَنْ يَضْمَنْ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ (٦) وما بينَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لهُ الجنَّةَ — مَنْهُومانِ (٧) لا يَشْبَعانِ : طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا . — مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيهِ . (٨) . ما آمَنَ بالقرآنِ من اسْتَحَلَّ مَحارِمَهُ (٩) . — مُداراةُ النّاسِ صَدَقَةٌ (١٠) ، — مَكارِمُ الأَخلاقِ أَعمالُ أَهلِ الجنّةِ . — مِنَ البِرِّ أَنْ تَصِلَ صديقَ أَبيكَ (١١) . مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ في مَعيشَتِهِ (١٢) . — مَنْ أَحَبَّ اللهَ اسْتَحْيا . — مَنْ أَخَذَ أَموالَ النّاسِ يُريدُ أداءَها أَدَّى اللهُ عنه . — مَنْ أَمَرَ

---

(١) المستشار : من يستشيره الناس . أى يجب أن تكون صفته الامانة فلا يجوز أن يشير على من استشاره بغير ما فيه المصلحة والخير ولو كان المستشير عدوا له الخ (٢) ابطأ : تأخر - ابطأ به اخره (٣) أى ما يعتريك فيه شبهة فتركه (٤) استخار طلب الخير (٥) عال : افتقر . اقتصد : أى لم يسرف ولم يقتر بل التزم الحد الاوسط فى المعيشة (٦) مثنى لحى وهو منبت شعر اللحية والمراد بما بين اللحيين اللسان او الفم بما فيه بحيث لا يطعم حراما ولا ينطق الا بما يوافق الشرع فلا يغتاب ولا يكذب ولا ينقل أحاديث الناس ولا يسب ولا يلعن الى غير ذلك من الآفات اللسانيه - والمراد بما بين الرجلين الذكر بحيث لا يكشفه على المحرم (٧) النهم : بفتحتين افراط الشهوة فى الطعام .
(٨) أى ما لا يهمه وليس له فيه حاجة (٩) لان العمل الصالح أثر الايمان الصحيح . فمن آمن حق الايمان انزجر بزواجر القرآن - وقد ورد : الايمان عريان - اى جائع يطلب العمل كما يطلب الجائع الطعام . (١٠) الا اذا اتت المداراة بضرر فى دين أو دنيا .
(١١) أى ان من البر الى الوالدين الاحسان الى أصدقائهما . (١٢) الفقه العلم . أى ان من جملة علم الانسان ان يعلم كيفية الاقتصاد ليرفق فى معيشته فيحيى هنيئا .

بمعروفٍ فليكنْ أمرُهُ بمعروفٍ [١] مَن بَدا جفا [٢] . — مَنْ تواضعَ للهِ رفعهُ . — مَنْ جرَّ ثوبَهُ مِنَ الخُيلاءِ [٣] لم ينظرِ اللهُ اليهِ . — مَنْ حامَ حولَ الحِمى [٤] يُوشكُ أنْ يُواقعهُ . مَنْ رَحِمَ ولوْ ذبيحةَ عُصفورٍ رَحِمهُ اللهُ . — مَنْ دلَّ على خيرٍ فلهُ مثلُ أجرِ فاعلِهِ . — مَنْ ذكرَ رجلاً بما فيه فقدِ اغتابهُ [٥] . مَن رَدَّ عَنْ عِرضِ أخيهِ رَدَّ اللهُ عَن وَجهِهِ . — مَن جلبَ [٦] على خيلِ الرِّهانِ فليسَ مِنّا — مَنْ سرَّهُ أنْ يَسلمَ فليلزمِ الصمتَ [٧] مَنْ صمتَ نجا . — مَنْ غشَّ فليسَ منّا [٨] . — المسلمُ مَن

(١) أى من نصب نفسه لوعظ الناس وارشادهم وانتقاد عاداتهم فليستعمل التؤدة والتأنى والرفق والمعروف من القول . فلا يتهور بلسانه أو قلمه بل يجعل الحكمة في النصيحة نصب عينيه فان فعل غير ذلك فقد أضاع المقصود وحرم النتيجة . وقد كنا كتبنا فى هذا الموضوع موضوع الانتقاد والامر بالمعروف رسالة وافية نشرناها فى المجلد الاول من مجلتنا « النبراس » وفى كتابنا « اريج الزهر » فليرجع اليها من شاء . (٢) بدا : سكن البادية .
(٣) الخيلاء : الكبر (٤) الحمى : المراد به هنا المحظورات الشرعية على سبيل المجاز
(٥) إن ذكره بما فيه فعليه اثم الغيبة وان ذكره بما ليس فيه فعليه اثم الغيبة والكذب .
(٦) جلب على الخيل : صاح بها اووكزها لتعدو وتجرى . الرهان : المسابقة على الخيل . والمعنى أن من يجهد فرسه ويضربها أو يصيح بها لتجري سريعاً يوم السباق فليس منا . لان هذا مناف لشروط الرهان ولانه ليس من باب الشفقة والمرحمة التى جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم . لانه بعث رحمة للعالمين عاقلهم وغير عاقلهم . (٧) الصمت السكوت
(٨) هذه رواية الترمذى . ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم بلفظ : ليس منا من غش . أى ليس منا من غش أحداً من الخلق لان الغش حرام لكل عباد الله

سَلِمَ المسلمونَ منْ يَدِهِ ولِسانِه [١] والمُهاجِرُ [٢] مَن هَجَرَ مانَهى اللهُ عنهُ . مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فلاَ يُؤْذِ جارَهُ ، ومنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، ومن كانَ يُؤْمنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقلْ خيراً أَوْلِيَصمُتْ . — المؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ فيما أُحِلَّ — مَنْ أَتاهُ أخوهُ مُتَنَصِّلاً [٣] فَلْيَقْبَلْ ذلِكَ مِنْه مُحِقًّا كانَ أوْ مُبْطِلا ، فإنْ لمْ يَفعلْ لمْ يَرِدْ علَيَّ الحَوْضَ .

النون

نامُوا فإذا انْتَبَهتُمْ فأَحْسِنُوا [٤] . — نِعْمَتانِ مَغْبونٌ [٥] فيهما كَثيرٌ مِنَ النّاسِ : الصحّةُ والفَراغُ . نِعْمَتِ الدارُ الدُّنيا لِمَنْ تَزَوَّدَ منْهَا لآخرَتِهِ . — نَفَقَةُ الرَّجلِ على أهْلِهِ صدَقَةٌ [٦] . — النَّدَمُ تَوْبَةٌ . — النّاسُ عالِمٌ ومُتَعلِّمٌ ، ولا خَيرَ فيما بَينَهُما . —

(١) فان آذاهم بكلامه او بيده فليس بمسلم على الحقيقة . وكذا من آذى الذميين والمعاهدين ومن هم في امان المسلمين . فايذاء المسلم وايذاؤهم سواء . لان لهم مالنا وعليهم ماعلينا . وقد قال الرسول : من آذى ذمياً فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة (٢) المهاجر : المراد به من هاجر مع النبي الى المدينه وفضله معلوم مشهور والمعنى : ليس المهاجر من هاجر مني بل من ترك مانهى الله عنه (٣) متنصلا متبرئاً من ذنبه (٤) أي احسنوا اقوالكم وافعالكم (٥) مغبون : مخدوع والمعنى ان الصحة والفراغ خدع بهما كثير من الناس (٦) أي يؤجر عليها كما يؤجر على الصدقة

النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ[1] لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً . النِّسَاءُ حَبَائِلُ[2] الشَّيْطَانِ . النَّاسُ[3] مَعَادِنُ

الهاء

الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ . — هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ[4] أَلْسِنَتِهِمْ . هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ[5] . — هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ[6]

الواو

الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . — وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ .

الياء

اليَمِينُ حِنْثٌ[7] أَوْ نَدَمٌ . — اليَوْمَ الرِّهَانُ[8] وَغَدًا السِّبَاقُ

(١) الابل : الجمال . الراحلة : مايصلح للركوب ووضع الرحل عليه من الجمال والمعنى أن الناس كثير والنافع منهم قليل (٢) الحبائل : جمع حبالة وهى شبكة الصائد أى أن النساء شباك للشيطان يصطاد بها اولياءه . ونسبه الميدانى فى الامثال لابن مسعود (٣) أى فيهم الغث والسمين والنافع والضار (٤) كبه على قاكب : صرعه والقاه حصائد السنتهم : أى ما تحصده السنتهم من الشرور وما تلفظه من البذاء والفحش (٥) فيه من الحث على القيام بشأن الضعفاء مالايخفى والمراد بالضعفاء : من ليس لهم قوة على مباشرة الاعمال لكبر اوعاهة او مرض (٦) أى الذين يتنطعون فى العبادة ويتعمقون فيها ويكلفون انفسهم مالا تطيق . وقد ورد فى الحديث : « إياكم والغلوّ في الدين » راجع الكلام على شرح حديث « إن هذا الدين متين » فى باب الهمزة (٧) الحنث : الحلف فى اليمين (٨) الرهان : المراد به هنا إخراج كل من المتراهنين

والغايةُ الجنّةُ ، والهالكُ مَنْ دَخَلَ النارَ . — اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلَى (١) — اليمينُ الفاجِرَةُ (٢) تَدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ . — يا بَني سَلِمَةَ دِيارُكُمْ تكتُبُ آثارَكُمْ (٣) . — يُنْصَبُ لِكُلِّ غادرٍ لواءٌ يُعْرَفُ بهِ (٤) . — يُحْشَرُ الجبّارونَ والمتكبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ (٥) يَطؤُهُمُ الناسُ — يُحِبُّ اللهُ من العامِلِ إذا عَمِلَ أن يُحْسِنَ (٦)

تم الكتاب

وكان الفراغ من تأليفه في شهور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف ١٣٢٣ للهجرة في بيروت . وكان الفراغ من هذه الطبعة الثالثة أوائل ربيع الأول سنة ١٣٤٣

رهناً ليفوز السابق بالجميع (١) ينبه على ترك السؤال والحث على العمل (٢) الفاجرة . الكاذبة . بلاقع : جمع بلقع وهي الارض التي لا شيء فيها (٣) أي ما تتركونه فيها من خير أو شر (٤) أي يوم القيامة (٥) الذر : جمع ذرة وهي أصغر النمل (٦) سواء كان العمل له أو لغيره . بل ان كان لغيره فينبغي ان يكون الاحسان فيه اشد فمن أهمل فهو غاش خائن وان اتقن فهو ممدوح في الدنيا والآخرة .

فهرست الكتاب